الإسراء والمعراج في الفكر الاستشراقي
دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

عبد الرحمن عباس جار الله السلطان

أستاذ العقيدة المساعد

قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة

جامعة حائل – المملكة العربية السعودية

الإسراء والمعراج في الفكر الاستشراقي
دراسة تحليلية

عبد الرحمن عباس جارالله السلطان
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني: ar.alsultan@uoh.edu.sa

ملخص البحث:

يعبر الاستشراق عن المرحلة الفكرية من الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب الإستعماري، فبينما كان هم أهل الإسلام إيصال نور العلم إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، استغل الغربيون هذا التسامح للحصول على درر المعارف الإسلامية، وتطويع هذا المعارف بعد نزع الطابع التوحيدي عنها لتكون شوكة مؤلمة في ظهور المسلمين، وبدأ المستشرقون في ضوء مناهج نقد النصوص الإسلامية في نقد القرآن؛ ولكن هالهم تماسك النص القرآن وقوته البنائية وصدقه وإحكام تشريعاته وأوامره، فلجئوا إلى الخديعة والتلبيس، وقد طال النص القرآني والحديث النبوي قدرا وافرا من الشبهات الخادعة، ومما أكثر المستشرقون نقده وإثارة الشبهات عليه (الإسراء والمعراج) تلك المعجزة النبوية، وقد دارت شبهاتهم حول دليل الإسراء من الكتاب والسنة، والزعم بوجود تشابه بين الإسراء وبين الأديان السابقة، والتشكيك في وجهة الإسراء وطبيعته، وقد تناول البحث نفنيد تلك الرؤية الإستشراقية، وتوصل إلى تهافت الرؤية الإستشراقية حول الإسراء والمعراج، ووجود خلط كثير في كلامهم، والإسقاط المعتمد لمفاهميم ومناهج كتابية على النص القرآني، ويوصي البحث بضرورة التوسع في دراسة أفكار ونتاج المستشرقين حول الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا، فدراساتهم تمثل المخزون الفكري الذي يدير الغرب علاقاته مع الإسلام من خلاله، وأهمية إيجاد ردود إسلامية قوية على شبهات وترهات المستشرقين .

الكلمات المفتاحية: الإسراء والمعراج، المستشرقين، الرؤية الاستشراقية .

The Isra and Mi'raj in Orientalist thought
Analytical study

Abdul Rahman Abbas Jarallah Al-Sultan
Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: ar.alsultan@uoh.edu.sa

Research summary:

Orientalism expresses the intellectual stage of the conflict between the Islamic East and the colonial West. While the concern of the people of Islam was to deliver the light of knowledge to the farthest east and west of the earth, Westerners exploited this tolerance to obtain the pearls of Islamic knowledge, and to adapt this knowledge after stripping it of its monotheistic character to become a painful thorn in the emergence of... Muslims,In light of the methods of criticizing Islamic texts, the Orientalists began to criticize the Qur'an. But they were astonished by the coherence of the Qur'anic text, its structural strength, its truthfulness, and the strictness of its legislation and commands, so they resorted to deception and confusion. The Qur'anic text and the Prophet's hadith have been subjected to a great deal of deceptive suspicions, and among the things that the Orientalists have most criticized and raised suspicions about is (the Night JourneyAnd the Ascension) is that prophetic miracle. Their suspicions revolved around the evidence of the Night Journey from the Qur'an and Sunnah, and the claim that there is a similarity between the Night Journey and previous religions, and skepticism about the destination and nature of the Night Journey. The research dealt with the refutation of that

Orientalist vision, and reached the inconsistency of the Orientalist vision about the Night Journey and the Ascension, and the existence of confusion. Many inTheir words, and the approved projection of biblical concepts and methods onto the Qur'anic text. The research recommends the necessity of expanding the study of the ideas and products of the Orientalists about Islam in doctrine, law, and morals. Their studies represent the intellectual stock through which the West manages its relations with Islam, and the importance of finding strong Islamic responses to the suspicions and nonsense of the Orientalists.

Keywords : Isra and Miraj , Orientalists , Orientalist vision.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فالإسلام هو خاتم الأديان، وآخر هدية من الله – تعالى – إلى الناس؛ هذه الخاتمية فرضت على الإسلام والمسلمين تحديات كثيرة؛ منها الشهادة على الناس جميعا على اختلاف مستوياتهم ومجالاتهم؛ فكتاب الإسلام (القرآن الكريم) هو المهيمن على ما سبقه من الكتب؛ فيصحح ما وقع فيها من تحريف، ويؤكد على صحة ما بقي فيها من الصحيح.

وبحكم وحدة المصدر الإلهي للدين؛ تشابهت بعض الأخبار في الأديان؛ ذلك أن سنة الله تعالى في البشر واحدة، قال تعالى : { سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا }(١) فقد فطرهم على الإيمان والتعرف عليه؛ قال تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٢) ولكن الشيطان انحرف بهم عن الطريق المستقيم، قال تعالى : {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ }(٣).

ولكن المستشرقين ومن قبلهم جحافل المنصرين جعلوا من هذا التشابه الظاهري دليلا على تأثر الإسلام بما سبقه من أديان وفلسفات، وبرهنوا بزعمهم من خلال تلك المشابهات على بشرية القرآن، وعدم إلهية الإسلام، متناسين وحدة المصدر الإلهي للدين، ومن أجل ذلك لم يدخروا جهدا للتشكيك في الإسلام وإثارة الشبهات عليه وعلى أتباعه.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٧ .
(٢) سورة الروم الآية ٣٠ .
(٣) سورة يس الآيات ٦٠ : ٦٢.

ومن الأخبار الإسلامية التي نالتها أيدي هؤلاء المستشرقين الدس والتشكيك؛ (معجزة الإسراء والمعراج)، وتعددت مزاعمهم حولها؛ فتارة يشككون في مصدرها وأنها من اختراع المفسرين ولا يوجد لها دليل من القرآن !!، وتارة يزعمون أن الإسلام اقتبسها من اليهود أو النصارى أو من الأديان القديمة والشامانيين[1]! عبثا يحاولون؛ فالبيان القرآني للمعجزة تعالى أن يدلهم على نوع مشابهة تصمد أمام النقد النزيه.

حتى إذا أعياهم التشكيك في مصدرها أو نسبتها إلى ما سبقها من أديان؛ حاولوا أن يشككوا في طبيعتها؛ فزعموا أنها كانت رؤية ليلية منامية، ولم تكن بالجسد والروح، وهم في زعمهم هذا يحاولون الخروج عن دلالات الألفاظ العربية ومعانيها البينة، كما يتجاوزون الألفاظ الصريحة الواردة في كتب السنة الصحاح، ويردون إجماع الأمة على اختلاف طبقاتها.

ومهما حاولوا تشكيكا أو هدما فالإسلام قد امتلك الحق المطلق المستعصي على الطعن والتشكيك، وكانت هذه الدراسة محاولة لصد هذه الهجمة على (الإسراء والمعراج) .

أسباب اختيار الموضوع :

١- انتشار شبهة اقتباس الإسراء والمعراج من الأديان السابقة التي أصل لها المستشرقون على شبكات التواصل الاجتماعي.

٢- تبني الملاحدة لتلك الشبهات وترويجها بين الشباب، مما استدعى رداً مفحماً عليهم .

(١) "شامان" من لغة التونجوس السيبيرية وتترجم إلى: "الذي يعرف"، ومن المرادفات لها: الوسيط، المشعوذ، الدجال، الساحر. والشامانية من الديانات القديمة التي تنتشر في المجتمعات المنغولية في سيبيريا الشرقية إلى حدود الصين، وهي تقوم على الطقوس والأساطير والممارسات السحرية. انظر: الشامانية والتقنيات العتيقة للوجد – ميرسيا الياد، طبعة ١٩٥١م، ص ٣٨٥ – ٣٨٦.

٣- الثقة التي يتلقى بها الملاحدة والمتغربين العطاء الاستشراقي، والهالة العلمية والمنهجية التي يضفونها علي هذا العمل الاستشراقي، مع افتقاره في أغلب الأحيان للمنهج السديد والفهم المستقيم.

أهداف البحث:

١- الدفاع عن الرواية الإسلامية للإسراء والمعراج.

٢- التأكيد على أن الإسراء والمعراج لم يقتبس من الأديان السابقة على الإسلام.

٣- إزالة الهالة المنهجية عن العمل الاستشراقي حول الإسلام، وبيان تهافت شبهات المستشرقين حول الإسراء والمعراج.

منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج التحليلي بخطواته المختلفة (التفسير – التحليل – التركيب)، وذلك لتحليل الشبهات الاستشراقية بغية الرد عليها ،وكذلك المنهج النقدي(الداخلي والخارجي) بما لا يبقي شبهاتهم إن شاء الله .

مشكلة البحث :

بيان تهافت الشبهات الاستشراقية حول الإسراء والمعراج، والتأكيد على صدق الرواية الإسلامية حول الإسراء والمعراج .

الدراسات السابقة :

لم أقف – حسب جهدي – على بحث علمي أفرد للرد على شبهات المستشرقين وتتبعها حول الإسراء والمعراج، وقد وجدت بعض الدراسات التي تناولت شبهات المعاصرين حول الإسراء والمعراج أو شبهات المستشرقين عموما حول السنة النبوية والسيرة، أو أوجه الشبه بين الإسراء والمعراج والروايات الكتابية ومنها :

١- قصة الإسراء والمعراج بين التراث الديني والرواية الشعبية العربية والعبرية : سوزان السعيد يوسف – مجلة رسالة المشرق – مجلد ٣٨ – عدد ٢ يونيو ٢٠٢٣م.

٢- الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج في دائرة المعارف الإسلامية – دراسة تحليلية: بومليحة حياة – رضوان لخشين ، مجلة المعيار- الجزائر – مجلد ٢٦ – عدد٧ – سنة ٢٠٢٢م .

٣- السيرة النبوية في كتابات المستشرقين – قراءة في كتاب التصوف الإسلامي – تاريخ الشعوب الإسلامية – شمس العرب تسطع على الغرب – الشمس المنتصرة): الهاشمي مليك ، مجلة آفاق فكرية – الجزائر – مجلد ١١ – عدد١ ٢٠٢٣م .

٤- شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليها: نورة بنت عبد الله بنت متعب الشهري – مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا – مصر – عدد ٣٤ ج ٢ ، إبريل ٢٠٢٣م .

وواضح الفرق بين هذا البحث وبين الدراسات السابقة ، فهذا البحث انصب على تتبع شبهات المستشرقين حول (معجزة الإسراء والمعراج) خصوصا ، دون بقية أحداث السيرة النبوية أو قضايا السنة النبوية.

خطة البحث :

التمهيد

المسألة الأولى : التعريف بالاستشراق .

المسألة الثانية : التعريف بالإسراء والمعراج .

المبحث الأول : مناقشة المستشرقين لمصدر الإسراء والمعراج في الإسلام والرد عليه .

المطلب الأول : التشكيك في آية الإسراء والرد عليه .

المطلب الثاني : التشكيك في الأحاديث والروايات حول الإسراء والمعراج والرد عليه .

المبحث الثاني : مصادر الإسراء والمعراج عند المستشرقين والرد عليهم.

المطلب الأول : المصدر اليهودي والنصراني والرد عليهما .

المطلب الثاني : المصدر البدائي (الشاماني) والرد عليه

المطلب الثالث : مصدر الحضارات القديمة والرد عليه .

المبحث الثالث : التشكيك في معجزة الإسراء والمعراج والرد عليه .

المطلب الأول : التشكيك في مكان المسجد الأقصى ووجوده والرد عليه .

المطلب الثاني : التشكيك في طبيعة الإسراء والمعراج ونفي حسيته والرد عليه .

الخاتمة وفيها التوصيات والنتائج .

التمهيد

المسألة الأولى

التعريف بالاستشراق

تدور كلمة (استشراق) في الاستعمال المعاصر حول تصوير الصراع الفكري بين الشرق والغرب، حيث أخذ الغرب فيه زمام المبادرة؛ فدرسوا علوم الشرق، ووظفوا هذه الدراسة في السيطرة على الشرق.

جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة):" استشراق [مفرد]:

١ – مصدر استشرقَ.

٢ – عناية واهتمام بشئون الشرق وثقافاته ولغاته.

٣ – أسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه.

• الحركة الاستشراقيَّة: حركة تجلَّت في اهتمام الغربيِّين بتراث الشّرق وحضارتِه ولغاته."[(١)]

فكلمة الاستشراق كلمة مولدة من لفظ (استشراق) المأخوذة من مادة (شرق) أي مستشرق، وقد استعملها المحدثون ترجمة لكلمة (orientalism) التي تدل على معنى (مستشرقون)، أما المحققون فيستعملونها بدلا عن (علماء المشرقيات)، ولكن كلمة (مستشرقون) أكثر شيوعا خاصة في الآونة الأخيرة [(٢)]

وللاستشراق مفهوم عام وآخر خاص، ويمكن بيانهما فيما يلي:

المفهوم العام للاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، فالمستشرق هو كل غربي يهتم بأمور الشرق ويشتغل بحضارته وتاريخه.

بينما المفهوم الخاص يحصر الاستشراق في الحضارة الإسلامية وما تعلق بها من علوم ومعارف، فـــ"الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر - بمساعدة فريق عمل، ط دار عالم الكتب (بيروت)، أولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ج ٢ ص ١١٩٢ – ١١٩٣ .

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد: عمر إبراهيم رضوان، ط دار طيبة (الرياض)، ص ٢٣ .

مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، ولا يعنينا هنا أن نتعرض لبحثه، كما لا يعنينا أيضاً أن نتعرض للتغيرات الجغرافية والحضارية التي طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق، الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع في كتابات المستشرقين المعنين "[١]

فالاستشراق كعلم يمثل: "تيار فكري تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية للصراع الحضاري بينهما، أو هو البحث في علوم الشرق وعقائده وآدابه، وإعداد الدراسات فيها، أو هو علم تاريخ شعوب الشرق وحضارتهم ولغاتهم وأديانهم وفنونهم ومعتقداتهم، نشأ بدافع ديني في الغرب، جعل دراساته في خدمة التنصير (التبشير) الذي مهد للاستعمار؛ فالاستشراق في مراحله الأولى عاش في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه، فلعب دوراً كبيراً في التحضير للاستعمار السياسي والثقافي والعسكري.."[٢]

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق ، ط دار المعارف (القاهرة) ١٩٩٧م ، ص ١٨ .

(٢) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: شوقي أبو خليل ، ط دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) الإعادة الأولي ١٩٩٨م ، ص ٥- ٦ .

المسألة الثانية

التعريف بالإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج معجزتان من معجزات النبي – ﷺ–، حيث أسرى به الله – تعالى – ليلا من المسجد الحرام من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، فصلى بالأنبياء؛ وأراه الله – تعالى من آياته العظيمة، وجعل الله هذه الرحلة المباركة تمحيصاً للمؤمنين وفتنة للكافرين.

تعريف الإسراء والمعراج في اللغة:

الإسراء من (سرى) يسري بالكسر (سرى) بالضم و(مسرى) بالفتح و(أسرى) أي سار ليلا وبالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بهما جميعا. قلت: يريد قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده} [الإسراء: ١] وقوله تعالى: {والليل إذا يسر} [الفجر: ٤][(١)]

ويقال: أسرى اللَّيلَ/ أسرى باللَّيل: سرَى، سار فيه أو قطعه بالسَّيْر "يُسري المسافرون باللَّيل ويرتاحون في النَّهار" أسرِ وقَمَرٌ لك: معناه اغتنم طلوعَ القمر وسرْ في ضوئه، ويُضرب في انتهاز الفرصة السَّانحة. وأسرى بالشَّخص: سار به ليلًا[(٢)].

و(الْمِعْرَاج) المصعد وَالسّلم وَمَا عرج عَلَيْهِ الرَّسُول ﷺ لَيْلَة الْإِسْرَاء. وعرج: في أسمائه تعالى ذو "المعارج"، أي المصاعد والدرج، جمع معرج، أي معارج الملائكة إلى السماء، وقيل: هي الفواضل العالية: أي ذي الملائكة العارجة إليه، عرج بفتحتين صعد: ومنه "المعراج" بالكسر، شبه السلم كأنه آلة له. [(٣)].

---

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، طـ٥، سنة: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٤٧.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، طـ١، سنة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج ٢، ص ١٠٦٢.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، طـ٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢ ، ص ٥٩٢. ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد

الإسراء والمعراج شرعًا:

هما حادثتان متلازمتان وقعتا قبل الهجرة للنبي – ﷺ– ليلاً بروحه وجسده يقظة، من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، بواسطة البراق، بصحبة جبريل – عليه السلام – ثم العروج به في نفس الليلة من المسجد الأقصى إلى الملأ الأعلى عند سدرة المنتهى، ورؤيته الآيات الكبرى، ثم الرجوع به – ﷺ– إلى بيته في مكة في تلك الليلة(١).

جاء في سيرة ابن هشام : "قال ثم أسري برسول الله – ﷺ– من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها؛ قال ابن إسحاق كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه – ﷺ– عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي – ﷺ– ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن البصري وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسري به – ﷺ– وكان في مسراه وما ذكر عنه بلاء وتمحيص وأمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد.."(٢)

طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، طـ٣، سنة: ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، ج ٣، ص ٥٥١.

(١) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ، ص ١٨٧ وما بعدها. ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم دار الوسيلة، ط٤، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد ، ط دار الجيل ١٤١١ه، ج ٢ ص ٢٤٣ .

وقد جمع ابن عبد البر [١] أحداث القصة والغاية منها فقال: "ثم أسري برسول الله – ﷺ– ليلا من المسجد الحرام إلى الأقصى. ثم منه إلى السماء، فرأى الأنبياء في السماوات على ما في الحديث بذلك. وفرض الله تعالى عليه الصلوات الخمس. ثم انصرف في ليلته تلك إلى مكة، فأخبر بذلك، فصدقه أبو بكر وكل من آمن به، وكذبه الكفار، واستوصفوه مسجد بيت المقدس، فمثله الله له، فجعل ينظر إليه ويصفه."[٢]

ومهما اختلف السلف في تفاصيل المعجزة؛ فهذا لا ينفي وقوعها، ولا وجه الإعجاز فيها، ولكن الجمهور أجمعوا أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، يقظة لا مناماً، "قال الحافظ ابن حجر في الفتح: اختلف السلف في الإسراء والمعراج هل وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده الشريف – ﷺ– وروحه، وذلك لاختلاف الأخبار الواردة؟ قال: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي – ﷺ– وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة.

قال: ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل، نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك، فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم، إلى أن ذلك كله وقع مرتان، مرة في المنام توطئة وتمهيداً، ومرة

---

(١) ابن عبد البر : الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة، مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر . وقيل : في جمادى الأولى . فاختلفت الروايات في الشهر عنه . وطلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة ، وأدرك الكبار ، وطال عمره وعلا سنده ، وتكاثر عليه الطلبة ، وجمع وصنف ، ووثق وضعف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، وخضع لعلمه علماء الزمان، من مؤلفاته : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار - الاستيعاب في أسماء الصحابة- جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله وغيره قال أبو داود المقرئ : مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر ، سنة ثلاث وستين وأربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام ، رحمه الله. - تراجع ترجمته وافية / سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ١٨ ص ١٥٤: ١٦٣ .

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير : الحافظ يوسف بن البر النمري، تحقيق/ الدكتور شوقي ضيف ، ط دار المعارف – القاهرة ثانية، ١٤٠٣ هـ، ص ٦٥ .

ثانية في اليقظة، كما وقع نظير ذلك في ابتداء مجيء الملك بالوحي، قال: وقد ذكر ابن ميسرة التابعي الكبير وغيره أن ذلك وقع في المنام، وأنهم جمعوا بينه وبين حديث عائشة بأن ذلك وقع مرتين، وإلى هذا ذهب المهلب شارح البخاري، وحكاه عن طائفة، وأبو نصر بن القشيري، ومن قبلهم أبو سعيد- كذا- في شرف المصطفى حيث قال: كان للنبي ﷺ معاريج، منها ما كان في اليقظة، ومنها ما كان في المنام"(١).

ومن الجدير بالذكر هنا النص على أن معجزة الإسراء من المعلوم بالدين بالضرورة للأدلة القطعية الواردة فيها، – وأنّ منكر المعلوم من الدين بالضرورة كافر – ومن أدلة الإسراء القطعية الثبوت والدلالة قول الله سبحانه وتعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(٢) "وَالْعَبْدُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمٌ لِمَجْمُوعِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. فَيَكُونُ الْإِسْرَاءُ بِهَذَا الْمَجْمُوعِ، وَلَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ عَقْلًا، وَلَوْ جَازَ اسْتِبْعَادُ صُعُودِ الْبَشَرِ لَجَازَ اسْتِبْعَادُ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى إِنْكَارِ النُّبُوَّةِ وَهُوَ كُفْرٌ"(٣).

ويقول الشيخ حافظ الحكمي: "ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولا كان تكذيب قريش بها، وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمد يزعم أنه أسري به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم

(١) شرف المصطفى: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد، ط دار البشائر الإسلامية – مكة أولى - ١٤٢٤ هـ، ج ٢ ص ١٣٩

(٢) سورة الإسراء: آية ١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ج ١ ص ٢٧٧.

عليه معنى؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعادا لرؤياه، وإنما قص عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناما فكذبوه واستهزءوا به استبعادا لذالك واستعظاما له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل"[١].

هذا "وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذرٍّ ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس، وشداد بن أوس وأُبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبُريدة، وأبي أيوب وأبي أُمامة وسمرة بن جُندب وأبي الحمراء، وصهيب الرومي وأُم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون"[٢].

أما معجزة المعراج فأدلته مع ثبوتها إلا أنها ظنية الدلالة، ولذلك منكر المعراج فاسق لا كافر[٣]

ومن أقوى أدلة المعراج قول المولى سبحانه وتعالى: وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلهَوَىٰ * إِن هُوَ إِلَّا وَحيٞ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٖ فَٱستَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط١، سنة: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ج ٣ ص ١٠٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، ط١، سنة: ١٤٣١هـ، ج ٥ ص ٤٣.

(٣) فقد أنكر الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من المعطلة المعراج، وذهب بعض الغلاة من الفلاسفة والصوفية إلى أن معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ترقيه بفكره إلى الأفلاك. ينظر: الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، سنة: ١٤٢٦هـ، ص ٥٨٨. وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط١، سنة: ١٣٩٢هـ، ج ١، ص ٥٤٩. والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ، ج ٣ ص ١١٥٣.

قَوسَينِ أَو أَدنَىٰ * فَأَوحَىٰ إِلَىٰ عَبدِهِۦ مَا أَوحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَد رَءَاهُ نَزلَةً أُخرَىٰ * عِندَ سِدرَةِ ٱلمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلمَأوَىٰ * إِذ يَغشَى ٱلسِّدرَةَ مَا يَغشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَد رَأَىٰ مِن ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلكُبرَىٰ"[١].

يقول الشيخ عبد الله المراغي: "استدل القائلون بأنّ المعراج ثابت بالقرآن الكريم، بآيات النجم معيدين بعض ضمائرها إلى النبي – ﷺ–حال عروجه[٢].

وثبت حديث المعراج في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وفيه "... ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ..." [٣].

ويقول الشيخ عبد الغني المقدسي: "وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار: أنَّ رسول الله ﷺ أُسرِي به إلى فوق سبع سماوات ثم إلى سدرة المنتهى، أُسرِي به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: مسجد بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعاً، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح، ومن قال: إنَّ الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة فقد غلط، ومن قال: إنَّه منام وأنَّه لم يُسْرَ بجسده فقد كفر" [٤].

فالواجب على كل مسلم أن يؤمن بوقوع الإسراء والمعراج للنبي – ﷺ –، تصديقا بالقرآن وإخبار النبي الأمين .

---

(١) سورة النجم: الآيات ١:١٨.
(٢) أفضل منهاج في إثبات الإسراء والمعراج، ط. مطبعة السنة المحمدية، ص ٤٥
(٣) أخرجه مسلم حديث (١٦٢)، وأخرج البخاري بنحوه عن أنس رضي الله عنه في " كتاب التوحيد" " باب ما جاء في قوله عز وجل: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [النساء: ١٦٤] حديث (٧٥١٧).
(٤) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، ط١، سنة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص ٢٥٧.

المبحث الأول

مناقشة المستشرقين لمصدر الإسراء والمعراج في الإسلام والرد عليه

المطلب الأول

التشكيك في آية الإسراء والرد عليه

قامت الرؤية الاستشراقية في هذا الصدد على التشكيك في كون آية سورة الإسراء تنتمي من حيث السياق إلى سورة الإسراء، ودعموا رؤيتهم بأن آية الإسراء غريبة عن السياق العام لسورة الإسراء، ولا توجد علاقة بينها وبين ما أتى بعدها من قصة بني إسرائيل، وإن صحت نسبة الآية فهي لا تشير إلى كامل ما أورده المفسرون من قصة الإسراء والمعراج، فهي في النهاية من وضع المفسرين ولا تشير آيات القرآن إليها، وقد شارك في هذه العبثية مجموعة من المستشرقين منهم:

١- ثيودور نولدكه[(١)]: حيث ادعى أن صعوبات عديدة تكتنف آية (الإسراء) في أول سورة الإسراء، وينفي وجود تناسق بين قصة الإسراء حسب ما ترويه كتب السنة وسياقها القرآني، ومع تسليمه بصحة آية الإسراء إلا أنه يفسرها على أنها رؤيا أو حلم – كما سيأتي بعد ذلك – ويزعم أنه لا يمكن الربط بين آية الإسراء والآية التي يقول عنها أهل الإسلام إنها تدل على المعراج ، يقول نولدكه : "ولا يجوز في أي حال ضم الآية (٩٣/ ٩٥) إلى هذا السياق؛ فهي تتحدث عن

(١) ثيودور نولدكه : شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، وقد أتاح له نشاطه الدائب، وألمعية ذهنه، واطلاعه الواسع على الآداب اليونانية، وإتقانه التام لثلاث من اللغات السامية (العربية والعبرية والسريانية) مع استطالة عمره حتي جاوز الرابعة والتسعين أن يظفر بهذه المكانة، ولد عام ١٨٣٦م بمدينة (هامبورج – ألمانيا)، وقد أشرف أبوه على تعليمه على الأدب الكلاسيكي (اليوناني واللاتيني)، حصل على الدكتوراة الأولى عام ١٨٥٦م برسالة عن تاريخ القرآن، اهتم باللغتين (التركية والفارسية)، كان له اهتمام خاص بالمخطوطات العربية ، فرحل وراءها وعانى قراءتها وتحقيقها وتوظيفها فيما يريد الاستدلال عليه، من كتبه : في نحو العربية الفصحى – أبحاث عن علم اللغات السامية – وكتابه الأشهر (تاريخ القرآن) تدرج في السلك الجامعي حتي الأستاذية ، وقد امتدت فترة عطاءه وتأليفه وتدريسه حوالي خمسين سنة ، توفي عام ١٩٣٠م - موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ط دار العلم للملايين (بيروت) أولى ١٩٨٤م ، ص ٤١٧ : ٤٢٠ .

صعود إلى السماء من ناحية افتراضية فقط، وحتى لو كانت تشير إلى المعراج كما يظن البعض، فإن ذكر الإسراء لا يأتي إلا في الآية الأولى فقط ، وتجمع الأحاديث عادة بين الحدثين، لكن المعراج حدث على قدر كبير من الأهمية البالغة والاستقلالية، يجعل تجاهله في الآية الأولى أمراً لا يسهل فهمه، وبالنظر إلى أن المعراج لا يذكر في أي موضع قرآني آخر، فقد تكون هذه القصة الخرافية نشأت بعد وفاة محمد، ولعل ذلك حصل اعتماداً على ما تنقله إلينا المصادر المسيحية القديمة عن بعض من اختطفوا إلى السماء(١).

إن (نولدكه) يشكك في معجزة المعراج لعدم ذكرها في الآية الأولى من سورة الإسراء، وفي نفس الوقت يتناقض مع نفسه إذ يقول: لكن المعراج حدث على قدر كبير من الأهمية البالغة والاستقلالية. وما دام هو على قدر من الأهمية والاستقلالية، إذن فمن المناسب أن يستقل القرآن بذكره في موطن آخر، كما أن سياق آية الإسراء مناسب لجو السورة وحديثها عن بني إسرائيل والأرض المقدسة.

ويزعم (نولدكه) أن نسج آية الإسراء مع ما بعدها لا ينسجم ويزعم سقوط آيات تالية للآية الأولى كانت بمثابة تمهيد لشأن موسي، ما يؤكد وجود أثر يهودي على هذا التصور النبوي – على حد زعمه – ، يقول : "ولا يمكن الربط بين الآية الأولى بما يليها، كما يتضح للعيان، فلا يحتاج إلى دليل، ففي سورة فاصلتها واحدة وهي الألف، يثير الشك كون فاصلة الآية الأولى وحدها (راء) لكن لا يمكن إعطاء تفسير أكيد لوضع النص الحالي، ربما سقطت بعد الآية الأولى بعض الآيات التي تقود بصورة طبيعية إلى الآية الثانية، أو أن الآية الأولى انتزعت من سياق آخر ووضعت في مكانها الحالي، لأن الآية (٦٠ / ٦٢) على علاقة بها، في هذه الحالة يمكننا أن نفترض ضياع المقدمة الأصيلة التي سبقت الآيات ٢ وما بعدها، أما زعم

(١) تاريخ القرآن : ثيودور نولدكة ، ترجمة : جورج تامر وفريقه ، ط دار مؤسسة كونراد – أدنلور (بيروت) أولى ٢٠٠٦م، ص ١٢١- ١٢٢ .

فايل أن الآية الأولى ألفت بعد موت محمد وضمت خطأ إلى القرآن، فهو غير محتمل على الإطلاق ....."[١].

وهكذا يمضي (نولدكه) في تشكيكاته دون أسس علمية، وأن ورود قصة موسى – عليه السلام – بعدها تدل على عدم الترابط وأنها انتزعت من سياق آخر، وسيتم بيان تهاوي تلك الدعوى في الرد عليه.

٢- بودلي[٢]: حيث ينفي ورود الإسراء والمعراج في القرآن كما يتصوره المسلمون، يقول : "فلا يوجد عن محمد ما يثبت أن هذه الرحلة الليلية قد تمت، وما كنت أدري أن مدني – محدثه العربي – كان يقص عليَّ عقيدة يدين بها كثير من العرب، ويعتقدون في صحتها اعتقادهم في القرآن، استناداً إلى حديث متواتر، وإن كل ما جاء فعلًا عن هذه الرحلة الإلهية على لسان محمد – ﷺ– هو ما ذكر في سورة الإسراء، وفي هذه السورة خاصة لا توجد أية إشارة إلى ما ذكره مدني – محدث بودلي العربي – وما يعتقده العرب، وكل ما جاء عن الإسراء في هذه السورة هو (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).."[٣].

يذهب (بودلي) إلى تناقض صريح في كلامه، إذ يقول أولًا لا يوجد عن محمد – ﷺ– ما يثبت هذه الرحلة، ثم يتحدث عن استناد الرحلة إلى حديث متواتر!!، وإلى آية في القرآن الكريم. ثم يستقل ذلك بقوله: وكل ما جاء عن الإسراء في هذه السورة هو – يقصد أول آية من سورة الإسراء.

---

(١) تاريخ القرآن : ثيودور نولدكة ، ص ١٢٢ .

(٢) كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي ذو الصليب العسكري) مارس1892 م 26 - مايو1970 م(الذي يُعرف إختصارا بـ (ر.ف. س. بودلي، بالإنجليزية (R. V. C. Bodley :كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، كاتب، صحفي ومستشرق.، خالط العرب وسمع منهم، وبنى معلوماته عن الإسلام من مخالطة العرب وقراءة الكتب، من أشهر كتبه (حياة محمد) https://ar.wikipedia.org/

(٣) حياة محمد: ر. ف بودلي ، ترجمة/ محمد محمد فرج – عبد الحميد جودة السحار ، ط مكتبة مصر (القاهرة)، ص ١١١.

٣- ويقول كاتب مادة إسراء في دائرة المعارف الإسلامية: "ورد هذا المصطلح (إسراء) في القرآن في سورة الإسراء الآية الأولى...، ولسنا نعرف إذا كانت هذه الآية هي في الأصل من سورة الإسراء أم أنها كانت في بادئ الأمر من سورة أخرى، وليس بنا من حاجة إلى البحث فيما يمكن أن يكون معناها الحقيقي...."[١]

وملخص ما أورده المستشرقون من شبهات حول آية الإسراء:

١ – عدم وجود تناسق بين قصة الإسراء حسب ما ترويه كتب السنة وسياقها القرآني.

٢ – عدم الانسجام والتناسق بين آية الإسراء مع ما بعدها، والزعم بسقوط آيات تالية للآية الأولى.

٣ – تفسير آية الإسراء على أنها رؤية أو حلم.

٤ – التشكيك في الآية نفسها وأنها أدخلت في فترة لاحقة على سورة الإسراء.

٥ – نفي المعراج لعدم ذكره في آية سورة الإسراء.

والرد على هذه الادعاءات في تلك النقاط التالية:

١- الحق أن الآية الأولى من سورة الإسراء ثبتت قرآنيتها تواتراً، وسورة الإسراء مكية عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية [٢] وقيل فيها بعض المدنيات، "روي عن ابن عباس أنها مكية غير قوله تعالى: {وإن كانوا ليستفزونك من الأرض} [آية: ٧٦] إلى قوله: {واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا} [آية: ٨٠] فإنها مدنيات حين جاء وفد ثقيف. وهي مائة وإحدى عشرة آية، وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفا"[٣].

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية : ص ٧١٣ .

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت أولى ، ١٤٢٠ هـ، ج ٣ ص ١٠٤ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان أولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ج ١٢ ص ١٩٣ .

فالادعاء بأن الآية الأولى فيها ألحقت بها؛ دعوى عريضة، وما ذكره المستشرقون من أن السياق يثبت أنها أجنبية عن السورة؛ فهذا كلام يدل عن غفلة كبيرة عن بنى السورة القرآنية في تعدد المسائل التي يجمعها نظم واحد وغرض واحد ونظام واحد، تدور مقاصد السورة حوله، ولنا أن نسوق بعضا من أوجه الربط بين آيات السورة وبيان مقصدها الرئيس، وترابطها في السياق سباقا ولحاقا فيما يلي:

٢- وجه ارتباط الآية الأولى من سورة الإسراء بما سبقها من سورة النحل ، يقول الإمام البقاعي[١] "لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص، والاتصاف بالكمال المنتج لأنه قادر على الأمور الهائلة ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب، وختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه - مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم - على أعدائهم على كثرتهم وقوتهم، وكان ذلك من خوارق العادات ونواقص المطردات، وأمرهم بالتأني والإحسان، افتتح هذه بتحقيق ما أشار الختم إليه بما خرقه من العادة في الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيهاً على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة في أسرع وقت، دفعاً لما قد يتوهم أو يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر، وبياناً لأنه مع المتقي المحسن، وتنويهاً بأمر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإعلاماً بأنه رأس المحسنين وأعلاهم رتبة وأعظمهم منزلة، بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود، وتمثيلاً لما أخبر به من أمر الساعة"[٢].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ١١ ص ٢٨٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ١١ ص ٢٨٨ .

فهذا وجه التناسب بين سورة الإسراء وسورة النحل، أما التناسب بين الآية الأولى والثانية من سورة الإسراء، فهذا واضح بيِّن، فهناك تناسب واطراد واضح بين الآية الأولى من سورة الإسراء والآيات التالية لها، فـ"لما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد، وما حباه صلى الله عليه وعلى آله وسلم به من الآيات البينات في هذا الوقت اليسير، أتبعه ما منح في المسير من مصر إلى الأرض المقدسة من الآيات في مدد طوال جداً موسى – عليه السلام – الذي كان أعظم الأنبياء بركة على هذه الأمة ليلة الإسراء.... فقال تعالى – عاطفاً على ما تقديره، فآتينا عبدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكتاب المفصل المعجز، وجعلناه هدى للخلق كافة، وتولينا حفظه فكان آية باقية حافظاً لدينه دائماً: {وءاتينا} أي بعظمتنا {موسى الكتاب} أي الجامع لخيري الدارين لتقواه وإحسانه، معظماً له بنون العظمة، فساوى بين النبيين في تعظيم الإراءة والإيتاء وخص محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإضافة آياته إلى مظهر العظمة"[(١)].

٣- فقطب السورة الذي عليه تدور آياتها ومحاورها؛ إثبات نبوة محمد – ﷺ– بمعجزاته العديدة ومنها الإسراء والمعراج؛ وقد بين الله – تعالى – أن الإسراء كان إيذانا بانتهاء وراثة بني إسرائيل للنبوة، وابتداء وراثة العرب لها، يقول ابن عاشور – رحمه الله – : "العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد – ﷺ–، وإثبات أن القرآن وحي من الله، وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه، وإبطال إحالتهم أن يكون النبي – ﷺ– أسري به إلى المسجد الأقصى. فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية، طـ١، سنة: (١٣٨٩ - ١٤٠٤ هـ) (١٩٦٩ - ١٩٨٤ م)، ج ١١، ص ٢٩٨:٢٩٩ .

موسى – عليه الصلاة والسلام– على عادة القرآن في ذكر المثل والنظائر الدينية، ورمزا إليها إلى أن الله أعطى محمدا ﷺ من الفضائل أفضل مما أعطى من قبله، وأنه أكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت. فمن أجل ذلك أحله بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل، فلم يستأثرهم بالحلول، بذلك المكان الذي هو مهبط الشريعة الموسوية، ورمز أطوار تأريخ بني إسرائيل وأسلافهم، والذي هو نظير المسجد الحرام في أن أصل تأسيسه في عهد إبراهيم كما سننبه عليه عند تفسير قوله تعالى: {إلى المسجد الأقصى} [الإسراء: ١] فأحل الله به محمداً – ﷺ– بعد أن هجر وخرب إيماء إلى أن أمته تجدد مجده، وأن الله مكنه من حرمي النبوءة والشريعة"[(١)]

فوجه ورود آية الإسراء قبل الحديث عن بني إسرائيل؛ هو التنبيه على انتقال وراثة النبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وتحذير الأمة الإسلامية عن الوقوع فيما وقع فيه غيرهم ومن سبقهم من الأمم من معصية الله – تعالى– وتضييع أمانة الوراثة للنبوة، فمحور السورة اقتضى هذا الترتيب،" فمحور السورة هو تربية أمة نبي الإسراء – ﷺ– والقرآن على اتباع الدستور الإلهي الذي سيمكنهم من الانتصار على أمة إسرائيل، ولما كانت أمة نبي الإسراء – ﷺ– والقرآن أكثر الأمم إيمانا بآيات الله – تعالى– وأكثرها التزاما بالدستور الإلهي، ولما كانت أمة إسرائيل أكثر الأمم تكذيبا للآيات، وأكثرها خروجا عن الدستور الإلهي، سميت السورة باسم معجزة الإسراء إلى المسجد الأقصى المبارك، كونها أحد الآيات التي يؤمن بها المؤمنون وكونها أكثرها ارتباطا بنصرهم على أمة إسرائيل، وقد تميزت هذه السورة بأنها سورة بيان انتصار أمة الإسراء والقرآن على أمة إسرائيل والتوراة، طالما التزمت أمة الإسراء بالدستور القرآني .."[(٢)].

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»:محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ط الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ، ج ١٥ ص ٧ –٨ .
(٢) دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها : عمر علي حسان عرفات ، ط مؤسسة الرسالة ناشرون(بيروت) أولي ٢٠١٨م ، ص ١٩٧ .

وأوضح من ذلك في التناسب والترابط ما ذكره الإمام البقاعي إذ يقول: " كان وصول بني إسرائيل من مصر إلى هذا المسجد الذي أوصلنا عبدنا إليه ورددناه إليكم في بعض ليلة راكباً البراق الذي كان يركبه الأنبياء قبله، وبنو إسرائيل كانوا يسيرون جميع النهار مجتهدين ثم يبيتون في الموضع الذي أدلجوه منه في التيه لا يقدرون أن يجوزوه أربعين سنة – على ما قال كثير من العلماء، أو أنهم كانوا في هذه المدة يدورون حول جبل أدوم كما في التوراة...، وأسرينا بموسى عليه السلام وبقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا، ومات كل من خرج منهم من مصر إلا "النقيبين الموفيين" بالعهد، فقد بان الفصل بين الإسرائين كما بان الفصل بين الكتابين، فذكر الإسراء أولاً دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانياً، وذكر إيتاء الكتاب ثانياً دليل على حذف مثله أولاً، فالآية من الاحتباك"(١).

مما سبق يتضح أن زعم المستشرقين حول أجنبية آية الإسراء عن سياق السورة الكريمة باطل، وغفلة عن معاني القرآن ومقاصد سوره المترابطة.

٤ – ولا يمكن الطعن في إيجاز آية الإسراء وعدم تضمنها لتفاصيل الإسراء وأحداثه، وذلك لأن طبيعة القرآن الإيجاز والإشارة وعدم التفصيل – غالبا–؛ فالتفصيل والبيان هو مهمة النبي – ﷺ– ، وقد أشار القرآن نفسه إلى هذه الحقيقة فقال – تعالى– :{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(٢).

ومن ثم فعدم ورود تفاصيل الإسراء لا يعني عدم وقوعها، أو تأليف المسلمين لتفاصيلها، بل هذه عادة القرآن وتلك مهمة الرسول – ﷺ– ، يقول القرطبي –

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية، طـ١، سنة: (١٣٨٩ - ١٤٠٤ هـ) (١٩٦٩ - ١٩٨٤ م)، ج ١١، ص ٣٠٠:٣٠١ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٤.

رحمه الله –" فصار الكتاب أصلا والسنة له بيانا، واستنباط العلماء له إيضاحا وتبيانا."[1].

ومن ثم فمزاعم وتشكيك المستشرقين في آية الإسراء، ودلالتها عليه محض مزاعم وترهات ليس عليها دليل، بل تعبر بالأحرى عن عجمة اللغة والفكر، وغيبة تامة عن روح القرآن وبنيته العربية الفصيحة وترابط آياته وسوره المعجز .

(١) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط دار الكتب المصرية – القاهرة ثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ج ١ ص ٢ .

المطلب الثاني

التشكيك في الأحاديث والروايات حول الإسراء والمعراج والرد عليه

يزعم المستشرقون أن آية الإسراء في القرآن لا تحتوى على الأحداث التي روتها كتب السنة، وهذا يعتبر دليلًا على تأليف هذه القصة من قبل المسلمين على لسان النبي – ﷺ–، وقد سبق رد هذا الزعم بأن القرآن جعل مهمة الرسول – ﷺ– البيان والتفصيل لما أجمل وأشير إليه في القرآن، وقد زعم المستشرقون أن النبي لم يقل شيء، وأن القصة ألفها المفسرون، إرضاء لهوى الجماهير وتطلعاتها، وقد تعددت أقوالهم في هذا المعنى فمثلا يقرر آسين بلاسيوس [١] أن قصة الإسراء والمعراج هي من اختراع المفسرين بناء على آية واحدة جاءت في القرآن الكريم، يقول: "بدأت قصة الإسراء وتعريج محمد إلى عالم الحياة الأخرى، ونمت وتطورت كمعظم القصص الدينية الأخرى، نشأت هذه القصة بناء على فقرة قصيرة من القرآن، عجز المفسرون في واقع الأمر عن وضع تفسير موحد لها، أما المفهومات التي احتار إزاءها الفلاسفة اللاأدريون فقد أثارت خيال جماهير المؤمنين، ومن ثمة وضع المفسرون تفاصيل مختلفة لروايات كثيرة استندت جميعها إلى النص الديني، وردت إشارة واحدة قصيرة في القرآن عن هذه القصة...، ويلوح أن هذه الإشارة قد أثارت منذ البداية فضول المسلمين الورعين الأتقياء، ذلك أن قصصاً كثيرة غنية بمختلف المفهومات انتشرت فجأة انتشاراً سحرياً، واشتعل خيال الشرق القوي الناشط، وسرعان ما أحيطت هذه القصة بتفاصيل غنية ووضعت لها أحداث

(١) ميجل آسين بلاسيوس: مستشرق وقس كاثوليكي أسباني، ولد عام ١٨٧١م بمدينة سرقسطة عاصمة مقاطعة أرغون، درس في مدرسة اليسوعيين ، والتحق بالمدرسة المجمعية وكلية الآداب، ليتخرج قسا، برز في الرياضيات واللغة اللاتينية، درس على المستشرق الإسباني خوان ربيرا، حصل على الدكتوراة من جامعة مدريد برسالة عن الغزالي عام ١٨٧٦م، حصل على كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد عام ١٩٠٣م ، من أشهر كتبه : ابن عربي، الرشدية اللاهوتية في مذهب القديس توما الإكويني، مجموعة اقوال السيد المسيح في كتب المؤلفين المسلمين- الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية شارك بكتاباته في مجلات الاستشراق الدولية توفي عام ١٩٤٤م تراجع ترجمته وافية في كتب / موسوعة المستشرقين لبدوي ، ص ١٢١ : ١٢٦.

ومناظر مختلفة ومدهشة، والحق أن الروايات المختلفة التي حيكت حول هذه القصة تملأ بتفاصيلها الكثيرة وتفريعاتها مجلدات ضخمة، فقد حاك الخيال الخصب الجامح حول هذه الفقرة القرآنية القصيرة روايات كثيرة، ومن ثم تطورت القصة ونمت في صورة أحاديث رواها الرواة وأسندوها إلى النبي – ﷺ– الذي يفترض أنه روي لأصحابه ما شاهده من العجائب في تلك الليلة التي لا تنسى..."[١]

بينما يزعم كاتب مادة (إسراء) في دائرة المعارف أن المفسرين غيروا في دلالة آية الإسراء حسب توجهات السياسة؛ فبينما كان التوجه الأول والأقدم تفسير آية الإسراء تفسيراً روحياً منامياً، وبيت المقدس في السماء، تغير المعني بعد ذلك ليكون بيت المقدس أرضياً والإسراء والمعراج جسدياً[٢].

وملخص ما أورده المستشرقون من شبهات حول أحاديث الإسراء والمعراج:

١ – عدم وجود تفاصيل عن حادثة الإسراء والمعراج في القرآن الكريم، بينما تفصل السنة أحداث رحلة الإسراء والمعراج، وقد سبق الرد على هذا.

٢ – الاختلافات الكثيرة الواقعة بين روايات الأحاديث التي ذكرت الإسراء والمعراج.

٣ – أن المفسرين تلاعبوا بتفسير آية الإسراء من المعنى الروحي إلى المعنى الحسي الجسدي، ومن بيت المقدس في السماء إلى بيت المقدس في فلسطين.

والرد على تلك المزاعم والادعاءات في النقاط التالية:

– الحقيقة أن المستشرقين في هذا غير منصفين؛ فالمفسر ليس من شأنه أن يخترع رواية أو حديث؛ فمن المعلوم أن هناك (تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي والمعقول).

---

(١) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية : ميجل آسين بلاسيوس، ترجمة / جلال مظهر ، ط مكتبة الخانجي (القاهرة) ١٩٨٠م ، ص ١٧ .

(٢) يراجع / موجز دائرة المعارف الإسلامية: ط مركز الشارقة للإبداع الفكري (الإمارات العربية) أولى ١٩٩٨م ، ص ٧١٣- ٧١٤ .

ومعتمد التفسير بالمأثور على الأحاديث والروايات التي أتت في مصنفات الحديث وأقوال الصحابة والتابعين، ولا يماري أحد في دقة رجال الحديث في نقد الروايات وتمحيص أحوال الرواة، بحيث لو تكاثرت رواياتهم وتعددت طرقهم على إثبات أمر أو نفيه عن النبي – ﷺ– يكون صوابا وواقعا، وهذا ما حدث في حادثة الإسراء والمعراج؛ فقد تكاثرت المرويات عن الصحابة الكرام في إثبات هذه الحادثة بتفاصيلها، وقد حكم المحدثون بمهنية عالية على الروايات، وضعفوا الضعيف وحكموا ببطلان مالم يثبت صحته.

ونضرب مثلًا على ذلك بما أورده ابن كثير (المفسر – المحدث) في نقد الروايات وتتبع صحيحها، " وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله – ﷺ: "بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام، فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير، فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلى جبريل عليه السلام، كأنه حِلْس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظمَ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت، وأوحى إليَّ ما شاء الله أن يوحى" ثم قال: هذا الحديث لا نعلم أحد رواه إلا أنس، ولا نعلم أحد رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلًا مشهوراً من أهل البصرة"[(١)]

فهذه رواية فيها غرائب، لم يثبتها المفسر، ولو كان الأمر كما يدعي المستشرقون، لأغرب المفسر والناس مولعون بالغرائب، ولكن هم المفسر الأمانة في النقل، وتحري الصدق عن رسول الله – ﷺ– .

(١) مسند البزار برقم (٥٨) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٩) عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور به. وقال الهيثمي في المجمع (٧٥/١): "رجاله رجال الصحيح". وقال الحافظ ابن حجر في زوائد البزار (٩٥/١): "الحارث أخرج له الشيخان، وهو مع ذاك له مناكير هذا منها".

فالروايات تهذب وتشذب ويستبعد منها مالم يصح سندا ومتنا، ولا تؤخذ على علاتها، فلم تجمع أمة محمد – ﷺ– على باطل الخبر ولا الاعتقاد، وقد لخص ابن القيم نقد النقاد حول بعض الروايات، بما يدحض إمكانية تأليف رواية ونسبتها للرسول – ﷺ–، يقول ابن القيم – رحمه الله – : "وقال ابن عبد البر وغيره: كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران انتهى، وكان الإسراء مرة واحدة. وقيل: مرتين: مرة يقظة، ومرة مناما، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك، وقوله: ثم استيقظت، وبين سائر الروايات، ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين، مرة قبل الوحي؛ لقوله في حديث شريك: " وذلك قبل أن يوحى إليه "، ومرة بعد الوحي، كما دلت عليه سائر الأحاديث. ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده، وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: " «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي» "، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا، وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رحمه الله. (١)

مما سبق يتضح أنه لا مجال في الرواية للكذب مع وجود هذا الكم الهائل من النقد للروايات والرواة، والتدقيق في عدلهم وضبطهم، ومن ثم فما يزعمه المستشرقون لا وجود له، وليس عليه دليل .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ج ٣ ص ٣٧ – ٣٨ .

المبحث الثاني

مصادر الإسراء والمعراج عند المستشرقين والرد عليهم.

المطلب الأول

المصدر اليهودي والنصراني والرد عليهما

يقرر المستشرق (بودلي) أن قصة الإسراء والمعراج لا يمكن المسارعة لرفضها، لأنها تشبه بل تتطابق مع المصادر الكتابية (الإنجيلية خصوصاً)، يقول: "فإذا ما أكد محمد قصة الإسراء في القرآن، فيجب والحالة هذه ألا يتسرع نقاد الإسلام في التشكيك فيها، فإن قصة صعود (إيليا)[١] في عربة نارية إلى السماء، لا يسخر أحد منها، ويقبل معظم المسيحيين أمر بعث المسيح، ورفعه دون أدنى شك أو تشكيك، ولا ينظر إلى وحي (سان جون المقدس)[٢] على أنه قول هراء، جاء به مجنون مصاب بالصرع، وإن من الغريب أن يشبه ما قاله مدني – محدث بودلي العربي – ما جاء في رؤيا يوحنا في كثير، بل لا يقل ما قاله مدني عنها غرابة، فلو أخذنا أي إصحاح من الكتاب الأخير من الإنجيل (رؤيا يوحنا اللاهوتي) لوجدنا فقرات يمكن أن تضاف إلى قصة الإسراء، ففي الإصحاح الرابع: بعد هذا نظرت، وإذا باب مفتوح في السماء، والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلًا: اصعد هنا، فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا، وللوقت صرت للروح، وإذا عرش موضوع في السماء، وعلى العرش جالس، وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق...، ولم يتيسر لي معرفة هذه المعلومات – يقصد ورود بعض الروايات في الأناجيل عن قصص تشبه الإسراء والمعراج – حينما كنت أعيش بين

---

(١) إيليا النبي (إيليا الناري) نبي من أنبياء العهد القديم، له مكانة كبيرة في الكتابات المسيحية، رويت أخباره في سفر الملوك الأول والثاني، كانت له جولاته مع المعاندين والمكذبين، باهل أنبياء البعل وذبحوا بسببه، خاصمته (إيزابل) وسعت في قتله، رافقه (اليشع) وخلفه في نبوته، صعد في نهاية أمره في مركبة نارية إلى السماء، تتخذه الكنائس رمزا للقوة الإلهية المستمدة من الرب، يراجع كتاب/ حياة إيليا وسر قوته : ف . ب. ماير ، ترجمة/ القمص مرقس داود ، ط مكتبة المحبة (القاهرة) ثالثة ١٩٦٦م .

(٢) يوحنا ابن زبدي، وشقيق الرسول يعقوب الكبير ...هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه) يو ١٩: ٢٦ (https://st-takla.org

العرب، وإلا لرويتها لمدني – محدث بودلي العربي – كدليل على أن المسيحيين قادرون على تعقيد العقائد السماوية تماماً كالعرب المسلمين، وعلى رغم ذلك، مهما كانت أسس تلك الخرافات والأحاديث المتواترة أوما جاء في الكتاب المقدس، فليس هناك ما يمنع من حذف ما نعتقد شخصياً أنه غير مقبول، وسيان في ذلك أكنا مؤمنين أم لا، فإثباتنا أن المسيح وموسى لم يوجدا على الأرض، أو أن محمداً كان أفاكا لن يجدي شيئا، فالرجال الذين يعتقدون اعتقاداً راسخاً فيما قيل عن ليلة الإسراء كما رواها (مدني)، وهو واحد منهم يشعرون بالراحة والرضا أكثر من شعورهم بالريبة، فإذا ما نحينا الفكرة الشخصية عن هذا الموضوع، فإن رؤية محمد لملك له ملايين الألسن، لن تؤثر في قصة حياته أبداً ..."[١].

فالمستشرق (بودلي) يقرر الشبه بين ما ورد في قصة صعود إيليا ورحلة الإسراء والمعراج، وأن محمداً – ﷺ– اقتبسها من هذه الرواية النصرانية، والذي منح لها قبولاً بين المسلمين أنها تبعث على الشعور بالراحة والرضا، ثم يزعم أن مثل هذه القصة، وإن تشابهت مع ما ورد عن إيليا فإنها لن تؤثر على الحكم عليه من خلال سيرته صدقاً أو كذباً.

وتقرر (كارين أرمسترونج) [٢] تشابه رحلة المعراج مع (تصوف العرش) في التقاليد اليهودية، تقول: "وتجربة المعراج التي وصفها الكتاب المسلمون تتشابه مع تجربة (تصوف العرش) في التقاليد اليهودية، والتي شاعت من القرن الثاني حتي القرن العاشر للميلاد، ويقوم الموهوبون بإعداد أنفسهم للتحليق الصوفي والرحلة إلى عرش الله من خلال تدريبات خاصة، إذ يصومون مثلا، ويقرءون أوراداً معينة

(١) حياة محمد: بودلي، ص ١١٢- ١١٣ – ١١٤ باختصار .

(٢) كارين أرمسترونج: كارين أرمسترونغ) بالإنجليزية(Karen Armstrong : مؤلفة بريطانية لعدة كتب في مقارنة الأديان وعن الإسلام. كانت راهبة كاثوليكية لكنها تركت الكاثوليكية وفضلت التصوف المسيحي. وهي عضوة في الحلقة الدراسية عن يسوع. من أشهر مؤلفاتها : محمد نبي لزماننا – الله لماذا –القدس: مدينة واحدة وثلاث عقائد - الإسلام: تاريخ موجز وغيرها .

تولد لديهم حالة التلقي المنشودة، كما يلجئون إلى بعض الأساليب البدنية، ويبدو أنهم كثيراً ما يضعون رءوسهم بين ركبهم، على نحو ما ذكرته بعض الروايات التاريخية الإسلامية عن محمد – ﷺ – ، وكانت تدريبات النفس ذات أهمية كبرى في التقاليد الأخرى، وكانوا بعد ذلك يشعرون بأنهم يبدءون رحلة صعود تكتنفها المخاطر إلى عرش الله، وكان شأنهم في ذلك شأن المسلمين، يصفون الرؤيا العلوية القصوى بأساليب تقوم على المفارقة، وتؤكد أنها في جوهرها تستعصي على الوصف والتعبير، وكان المتصوفة في إطار هذه التقاليد يعتبرون مؤسسيها من الأبطال الذين اكتشفوا طريقًا إلى الله وتعرضوا لمخاطر شخصية في سبيل ذلك "[١]

إن (كارين أرمسترونج) تصف رحلة المعراج بأنها تشبه (تصوف العرش) عند اليهود، الذين يقومون بعدة أعمال من صيام وأوراد، حتى تتهيأ أنفسهم لتمثل الصعود إلى العرش الإلهي، ثم يورد في سخافة أنهم ربما يضعون رؤوسهم بين ركبهم كما كان يفعل النبي محمد – ﷺ – مستنتجاً من ذلك تشابه الوقائع التي أدت إلى تشابه النتائج، مع أن البون شاسع – كما سيأتي الرد على ذلك – فلم يؤثر عن النبي – ﷺ أنه قام بأعمال صوفية بدنية للارتقاء إلى حالة الصعود النفسي التي تتحدث عنها (كارين أرمسترونج).

وتواصل (كارين أرمسترونج) مزاعمها بوجود تشابه بين بعض جوانب الإسراء والمعراج وبين بعض التجارب الروحية المسيحية تقول : "وبعض جوانب الإسراء والمعراج تشبه التأملات الصوفية التي يمر بها الإنسان عند تحوله، ومكابدته ألم التحول من أسلوب حياة معين إلى أسلوب آخر، وهي تتشابه تشابها غامضا مع التجربة التي مرت بها راهبة شابة اسمها (بيريتوا)، وهي من الشهداء المسيحيين الذين لاقوا حتفهم في (قرطاجنة) في أثناء اضطهاد الإمبراطور (سيفيروس) لهم عام ٢٠٣م ، ويعتقد معظم الباحثين أن الروايات الواردة في كتاب (أعمال بيربتو وفيلكيتاس) التي قام بتحقيقه ونشره أحد المحررين بعد وفاته بقليل،

(١) سيرة النبي محمد : كارين أرمسترونج : ص ٢١٢.

صحيحة، وتقول إحدى هذه الروايات إن الراهبة كانت تنتظر في السجن محاكمتها، فألح أصحابها عليها أن تدعو الله أن يهبها رؤيا تدلهم على ما إذا كانوا سوف يموتون حقا أم لا، وقد طلبوا ذلك من (بيربتوا) بسبب ما عرف عنها من مواهب صوفية خاصة، فوعدتهم بإجابتهم إلى طلبهم في اليوم التالي، وقد تكون قد هيأت نفسها بصورة لا شعورية لتلقي الرؤيا، مثلما يفعل اليوم مرضي التحليل النفسي الذين يقدمون أحلاما ذات دلالة لأطبائهم، وبالفعل رأت (بيربتوا) تلك الليلة في منامها سلما تنتهي درجاته في السماء (معراج محمد، وكان الصعود محفوفاً بمخاطر جمة، مما جعلها تخشى في لحظة معينة ألا تقوى على الوصول إلى آخره، ولكن رفقاءها شجعوها على المثابرة حتي وجدت نفسها آخر الأمر في حديقة كبيرة وجميلة، وكان فيها أحد الرعاة، وكان يحلب شاة له، ومن ثم قدم لها بعض اللبن المخثر، وعندما أفاقت من نومها وجدت أنها "لا تزال تمضغ شيئا حلو المذاق، ويصعب تحديد كنهه، وتأكد لها ساعتها أنها سوف تموت، وحثت أصدقاءها في السجن على أن يطرحوا كل أمل في الحياة الدنيا..."[(١)]

والحق أننا لابد أن نقرر حقيقة أن التشابه الظاهري بين الإسلام وبين غيره من الأديان السابقة لا يعني أن الإسلام اقتبس منها، أو استفاد من تراثها؛ بل قصارى ما يمكن أن يدل عليه هو الاشتراك في المصدر الإلهي، ووجود بقايا من الدين الصحيح في الأديان السابقة، وندلل على ذلك من خلال ما يلي :

١- خاطب الله – تعالى – نبيه – ﷺ– بأن رسالته إنما هي امتداد لسلسة طويلة من الرسل الكرام، فقال تعالي :"قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ"[(٢)] ومعنى قوله تعالى: " قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ" أي: ما أنا بأوَّل رسولٍ."[(٣)].

(١) سيرة النبي محمد: كارين أرمسترونج ، ص ٢١٢- ٢١٣ .
(٢) سورة الأحقاف الآية ٩ .
(٣) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي ، ط دار الكتاب العربي – بيروت أولى - ١٤٢٢ هـ، ج ٤ ص ١٠٣ .

٢- سنة الله – تعالى – مع أنبيائه واحدة؛ فمحتوى رسالتهم واحد، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"(١) فالدين من حيث العقيدة واحد، وإنما الاختلاف في الشرائع فقط،" فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في الأوامر والنواهي....، (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) أي قلنا للجميع لا إله إلا الله، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول. وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد."(٢)

٣- بل إن طريقة الوحي واحدة؛ قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ"(٣) ومعناه؛ " لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته أتبعه ببيان أنه كيف يخص أنبياءه بوحيه وكلامه."(٤)

فالتشابه الظاهري بين الإسلام وما سبقه من أديان ليس مرده إلى التأثير والتأثر بين السابق واللاحق على ما هو مشهور ومتداول على الألسنة في ميدان الجدل بين أتباع الأديان، وإنما مرده إلى الاشتراك في المصدر الإلهي وبقاء بقية من الدين الصحيح في هذه الأديان التي جاء الإسلام ليؤكد على صدق الحق فيها، وتصحيح ما أصابه التحريف منها.

والأمثلة التي جاء بها المستشرقون ليس فيها تشابه مطلق مع ما جاء في الإسلام عن الإسراء والمعراج؛ ونبين ذلك فيما يلي :

(١) سورة الأنبيا ءالآية ٢٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج ١١ ص ٢٨٠ .
(٣) سورة الشوري ٥١.
(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ج ١٧ص ٢٢٠.

١- **صعود إيليا:** الوارد في الكتاب المقدس ونصه الخبر عنه؛ يقول كاتب سفر الملوك: "وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء .وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة إسرائيل وفرسانها. ولم يره بعد. فأمسك ثيابه ومزقها قطعتين .ورفع رداء إيليا الذي سقط عنه، ورجع ووقف على شاطئ الأردن. فأخذ رداء إيليا الذي سقط عنه وضرب الماء، وقال: أين هو الرب إله إيليا، ثم ضرب الماء أيضاً، فانفلق إلى هنا وهناك فعبر أليشع .ولما رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالته، قالوا قد استقرت روح إيليا على أليشع [١]، فأين الشبه المزعوم بين قصة صعود (إيليا) والإسراء والمعراج؟، فليس في النص إلا ارتفاعه في عربة سماوية إلى الأعلى فقط.

٢- **رؤيا يوحنا اللاهوتي:** وهي رؤيا منامية على كل حال، وفيها من ضروب الخرافة الشيء الكثير، والرموز التي تضيع فيها المعاني وتتوه فيها الحقيقة بين ضروب التأويل، يقول كاتب رؤيا يوحنا: "كُنْتُ فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي تُدْعَى بَطْمُسَ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلًا: «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ. وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: إِلَى أَفَسُسَ، وَإِلَى سِمِيرْنَا، وَإِلَى بَرْغَامُسَ، وَإِلَى ثِيَاتِيرَا، وَإِلَى سَارْدِسَ، وَإِلَى فِيلاَدَلْفِيَا، وَإِلَى لاَوُدِكِيَّةَ .«فَالْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعِي. وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ،وَفِي وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، مُتَسَرْبِلًا بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَمُتَمَنْطِقًا عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ..."[٢]

(1) سفر الملوك الثاني (٢/ ١١- ١٥) .
(٢) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي (١/ ٩- ١٢).

فبحسب النص السابق؛ كانت هذه رؤيا منامية؛ حيث كان (يوحنا) في جزيرة على الأرض؛ وخوطب في منامه بهذه المخاطبات، ورأى تلك الرؤى، وهذا ليس فيه ما يشبه رحلة الإسراء والمعراج التي تضمنت انتقالًا أرضيًا سماويًا لنبي – ﷺ– جسدا وروحا يقظة لا مناما.

٣– **التصوف العرشي عند اليهود :** وهذا النوع من التصوف يتطلب جهداً كبيراً في النسك والزهادة، والتزام طقوس معينة للوصول لدرجة كبيرة من الصفاء الروحي – كما يزعم اليهود – حتي يُؤهل الإنسان للوصول إلى الأفق الأعلى، ويلتقي بالعوالم العلوية، وهذا ما يخالف رحلة الإسراء والمعراج؛ فالنبي – ﷺ – لم يمارس نسكًا وزهادة تؤهله للصعود السماوي، فهذه الحيل لا دليل على صدق مدعيها؛ وغاية ما يخبرون به رؤى روحية ومنامات، ولا يخبرون عن حقائق كما أخبر النبي – ﷺ– في رحلة الإسراء والمعراج؛ فقد وصف للمشركين المسجد الأقصى، ولم يكن قد رآه قبل، وأخبرهم بقافلتهم التي ستصل مكة في خلال أيام، وأخبرهم بأمارات وعلامات في ترتيب القافلة وما ضاع من أفرادها؛ وكل ذلك ينفي كون الإسراء روحيًا أو مناميًا.

٤– **تجربة بريتوا:** ومجمل قصتها أنها كانت من أتباع المسيحية في قرطاجنة، وقد وقعت تحت طائلة الاضطهاد مع بعض رفيقاتها عام ٢٠٣م، وسجنت وعذبت ولكنها لم ترجع عن إيمانها، حتي قتلت[١] وتكتمل القصة برؤية منامية رأتها ومجملها: "افتقدها أخوها في السجن وصار يحدثها بأنها تعيش في مجدٍ، وأنها عزيزة على الله بسبب احتمالها الآلام من أجله، وقد طلب منها أن تصلي إلى الرب ليظهر لها إن كان هذا الأمر ينتهي بالاستشهاد. بكل ثقة وطمأنينة سألت أخاها أن يحضر لها في الغد لتخبره بما سيعلنه لها السيد. طلبت من الله القدوس ما رغبه

(١) يراجع / قصص مقتطفة من تاريخ الكنيسة: ترجمة/ ابكاريوس يوحنا، جمعية الكراريس البريطانية (بيروت) ط ٢ ١٨٨٢م، ص ٦٤ وما بعدها .

أخوها، وإذ بها ترى في الليل سلماً ذهبياً ضيقًا لا يقدر أن يصعد عليه اثنان معًا في نفس الوقت، وقد ثبت على جانبي السلم كل أنواع من السكاكين والمخالب الحديدية والسيوف، حتى أن من يصعد عليه بغير احتراس ولا ينظر إلى فوق يُصاب بجراحات ويهلك .وكان عند أسفل السلم يوجد تنين ضخم جداً يود أن يفترس كل من يصعد عليه. صعد ساتيروس أولًا حتى بلغ قمة السلم ثم التفت إليها وهو يقول لها" :بربتوا، إني منتظرك، لكن احذري التنين لئلا ينهشك". أجابته القديسة: "باسم يسوع المسيح لن يضرني". ثم تقدمت إلى السلم لتجد التنين يرفع رأسه قليلًا لكن في رعب وخوف، فوضعت قدمها على السلم الذهبي ووطأت بالقدم الآخر على رأس التنين ثم صعدت لتجد نفسها في حديقة ضخمة لا حدَّ لاتساعها، يجلس في وسطها إنسان عظيم للغاية شعره أبيض، يلبس ثوب راعي يحلب القطيع، وحوله عدة آلاف من الناس لابسين ثيابًا بيضاء. رفع هذا الرجل رأسه ونظر إليها، وهو يقول: "مرحبًا بكِ يا ابنتي"، ثم استدعاها، وقدم لها جبنًا صُنع من الحليب، فتناولته بيديها وأكلت، وإذا بكل المحيطين به يقولون: "آمين." استيقظت بربتوا على هذا الصوت لتجد نفسها كمن يأكل طعامًا حلواً. وقد أخبرت أخاها بما رأته فعرفا أن الأمر ينتهي بالاستشهاد."[١]

وانطلاقًا مما تقدم من القصة فلا يوجد تشابه بين قصة (بريتو) والإسراء والمعراج كما زعمت (كارين أرمسترونج).

مما سبق يتضح أن ادعاء وجود تشابه بين رحلة الإسراء والمعراج والتقاليد والقصص اليهودية والمسيحية إنما هو من باب التخبيط، وزعمًا بغير دليل صحيح يستند إليه؛ فلم تكن رحلة الإسراء والمعراج رؤية منامية حتى تشبه ما ورد في التراث اليهودي والنصراني من الرؤيا المنامية للصديقين والشهداء، إذ لو كانت

(١) https://st-takla.org تاريخ الزيارة ٩ – ١٢- ٢٠٢٤م .

كذلك لما أنكر على النبي – ﷺ– تلك الرؤيا، فهي تحدث لآحاد الناس، دون إنكار فيما يخبرون به، حتى وإن كان خارج الواقع والمشاهد، أو لا تدانيه الافتراضات العقلية، وبناء على ذلك فهناك اختلافات بينة بين ما أورده المستشرقون من أمثلة على هذا التشابه وبين الإسراء والمعراج .

المطلب الثاني

المصدر البدائي (الشاماني) والرد عليه

ظن المستشرقون أن هناك شبهاً بين رحلة الإسراء والمعراج وبين عمل الشامانيين وأعمالهم السحرية، وصعوداتهم الخرافية إلى السماء، يقول بروكلمان[١]: وفي هذه الأثناء كان مسلموا مكة على ما تقول الروايات، يعانون أزمة جديدة، ذلك أن حديث محمد عن إسرائه العجيب، برفقة جبريل، إلى بيت المقدس ومن ثم إلى السماء، كان قد أوقع موجة من الشك في نفوس بعض المؤمنين، ولكن أبا بكر ضرب بإيمانه الراسخ مثلًا طيباً لهؤلاء المتشككين فزايلتهم الريب والظنون، ومن الجائز أن تكون هذه الرحلة السماوية التي كثيراً ما أشير إليها بعد في الأساطير الشعرية التي خلفتها الكتب الإسلامية جمعها أقدم من ذلك عهداً، ولعلها ترجع إلى الأيام الأولى للبعثة النبوية، وأمثال هذه الرؤي في أثناء تهجد العراف معروفة وثابتة لدى بعض الشعوب البدائية .." [٢].

ينطلق (بروكلمان) من منهج التشكيك ليفترض التشابه بين رحلة الإسراء والمعراج، وبين ما لدى الشعوب البدائية التي تستند إلى الكهانة والعرافة، على أنه لم يذكر وجه الشبه – ذلك أنه لا يوجد تشابه أصلًا – بين رؤية العراف المنامية، وبين رحلة الإسراء والمعراج، ثم إن افتراضه هذا قائم على غير مقدمات صحيحة، إذ أنى للنبي محمد – ﷺ– من الاطلاع على ما كان عند الشعوب البدائية، ولم يثر عند العرب – العرافين منهم – مثل تلك الدعوى.

وتقول (كارين أرمسترونج): "ويشبه المعراج نفسه تجربة الدخول في سلك كهنوت الشامانيين، والتي يقول الأمريكي جوزيف كامبل: إنها ما تزال تحدث في

---

(١) كارل بروكلمان : ولد عام ١٨٦٧م في مدينة (روستوك) الألمانية، بدأت اهتماماته بالشرق وآدابه وحضارته من سن مبكرة، أتقن العبرية في سن مبكرة، والآرامية والسريانية ، درس اليونانيات الكلاسيكية، حضر دروس (نولدكه) وحضر دروس اللغتين (السنسكريتية والأرمنية، واللغة المصرية القديمة وغيرها، اهتم بالدراسات الفيللوجية، تدرج في السلك الأكاديمي، من أهم أعماله (تاريخ الأدب العربي – تاريخ الشعوب الإسلامية وغيرها) توفي عام ١٩٤٠م - تراجع ترجمته وافية في كتاب / موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ص ٩٨ : ١٠٥ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ترجمة / نبيه أمين فارس – منير البعلبكي، ط دار العلم للملايين (بيروت) خامسة ١٩٦٨م، ص ٤٤.

شتى أرجاء شمالي آسيا وأمريكا من سيبيريا حتي "تييرا ديل فويخو"[١] وهو يوضح ذلك قائلًا: "إن الكاهن الشاماني يمر في شبابه المبكر بتجربة نفسية عارمة تتحول نفسه على أثرها إلى الاستبطان الكامل، وهي نوع من الانشقاق الفصامي إذ ينفتح اللاوعي كله فيبتلع الشاماني ويستغرقه، ويلجأ رجال الغابات إلى توليد هذه التجربة عن طريق الرقص مدة تطول فتمعن في الطول، وقد وصف أحد الشامانيين ما حدث عندما وصل إلى حالة الغيبوبة وأغشي عليه قائلا: "عندما أخرج أجد أنني قد بدأت الصعود من قبل، وأنا أتسلق خيوطًا، تلك الخيوط التي تمتد هنالك في الجنوب، أتسلق خيطًا ثم أتركه، ثم أتسلق خيطًا آخر، ثم أتركه وأتسلق خيطًا آخر، وعندما تصل إلى مكان الله تقوم بتصغير ذاتك، لقد أصبحت ضئيلًا، وأنت تأتي إلى مكان الله، وتفعل ما يجب عليك أن تفعله هناك، ثم ترجع إلى حيث يوجد الجميع..، ثم تعود آخر الأمر وتدخل جسدك مرة أخرى، لقد مر بصورة من صور الفناء الذاتي وتغلغل إلى بقاع لا يستطيع الآخرون أن يرتادوها، وهو يعود بأنباء من منطقة الصور الأسطورية أي من مقر القوة والسلطان، وتدل تجربة الإسراء والمعراج بالصورة التي رواها الرواة لنا على أن محمداً كان قد بدأ يري أنه ربما أصبح أكثر من مجرد المنذر المتواضع لقريش، ومع ذلك فقد كان لا يزال يبحث عن مجير من أبناء البشر.."[٢].

إنَّ (كارين أرمسترونج): تشبه رحلة المعراج بتجربة هؤلاء الشامانيين البدائيين الذين يلجأون إلى الرقص مدة طويلة من الزمن حتى يغشى عليهم، وتوصف تلك الغيبوبة عند الباحثين بأنها نوع من الانشقاق الفصامي إذ الانفتاح على اللاوعي والاستغراق فيه، ومن ثم يتحدث الشامانيون بعد ذلك بصور من الرؤى المتعددة.

(١) أرض النار أو "تييرا دل فويغو" (بالإسبانية: Tierra del Fuego) أرخبيل في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي.
(٢) سيرة النبي محمد: كارين أرمسترونج ، ص ٢١٤ – ٢١٥ .

والسؤال هل قام النبي – ﷺ– بمثل تلك الرياضات البدنية؛ حتى وصل إلى حالة الإغماء...؟ وهل أخبر أن هذا الحدث كان رؤية منامية؟ بالقطع لا، إذن فأين وجه الشبه!!!

ويقول كاتب مادة (إسراء) في دائرة المعارف الإسلامية: "تذهب أقدم هذه الروايات، وقد اختفت من التفاسير الحديثة، إلى أن هذه الآية تشير إلى صعود محمد – ﷺ– إلى السماء، وأهم ما في هذه الروايات ...، هو أنها احتفظت بالمعنى البدائي لقصة الصعود التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية .."[(١)]

والحق أنه لا يوجد تشابه من أي وجه بين رحلة الإسراء والمعراج وتقنيات الوجد والصعود السماوي الشاماني، وذلك لما يلي:

١– الشامانية تقدم تفسيرات وتواصل مع عالم الغيب؛ وهو بكافة أنواعه يتسم بالعشوائية، "تؤكد المجتمعات الخاضعة لهذا النوع من المنطق بأن العالم الآخر يتوجه للإنسان بواسطة علامات أو لغات خاصة، مثل لغة الأحلام، لكن هذا التواصل سواء كان تنبؤياً أو استشرافياً يبقى عشوائياً وغير أكيد"[(٢)] وهذا ما لا نجد له أثر في الإسراء والمعراج؛ حيث ثبتت صحة إخباراه – ﷺ– من صحة وصف بيت المقدس، والأمارات التي أعطاها لقريش عن القافلة التي رآها في طريق الإسراء.

٢– الشامانية تعتمد على السحر في أغلب طقوسها، ومراسيمها[(٣)] وهذا ما لا نجده في الإسراء والمعراج؛ فلم يدع أحدٌ أن النبي – ﷺ– فعل الإسراء ولا المعراج نتيجة لسحر ولا شعوذة؛ ولم يؤثر عنه أنه مارس السحر أو طلبه .

ومن ثم فادعاء المستشرقين أن الإسراء والمعراج تشبه عمل الشامانيين، هو ادعاء باطل لم يراع الفروق بين طبيعة الدين وعمل الشامان السحري.

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية : ص ٧١٣ .

(٢) الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران، ترجمة/ إدريس كثير، ط هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) (أبو ظبي) أولى ٢٠١٣ص ١٤- ١٥ .

(٣) يراجع / الشامانية فلسفة للحياة : ميشال بيران، ص ٢٠ – ٢١ .

المطلب الثالث

مصدر الحضارات القديمة والرد عليه

حاول المستشرقون بكل ما أوتوا من قوة ومن حيلة أن يشوهوا ما جاء في الإسلام، حتى لو اضطروا أن يعمموا على الإسلام مقالة بعض من ينتمون إليه، ومن ذلك محاولتهم تعميم التفسير الصوفي الروحي لرحلة الإسراء والمعراج على الإسلام، ومحاولة إيجاد مشابه لهذا التفسير الصوفي في الأديان القديمة وخاصة الأديان الهندية (الهندوسية والبوذية)، فتقرر (كارين أرمسترونج) التشابه بين (سدرة المنتهي) والثقافة الهندوسية التي ترمز بتلك الشجرة إلى انتهاء المعرفة الإنسانية ، يقول :" وسدرة المنتهي هنا، مثلما ترمز في التقاليد الهندوسية إلى الحد الأقصي للمعرفة الإنسانية.."[١]

وتقرر أن التفسير الصوفي لرحلة الإسراء والمعراج يمثل مشتركا إنسانيا عاماً، تقول :" إنها تجربة تشترك فيها جميع التقاليد الدينية الكبري، وهي تعبير عن العقيدة القائلة بأنه من المحال على الإنسان أن يرى الله ويظل على قيد الحياة، ولكن تجربة الفناء بالنسبة لذاته، ومواجهة تجربة العدم، بعثت محمدا إلى مستوى رفيع سام من الوجود، ولقد تمكن فيما بعد أن يسترجع هذه التجربة بحيث يوسع من نطاق قدرة البشر على الإحساس بالقداسة، وأصبح المعراج نموذجا للسيرة الصوفية في الإسلام، وأصبح الصوفيون يتحدثون دائما عن الفناء في الله، وهو الذي يعقبه البقاء والإحساس الأرقى والأرفع بتحقيق الذات، وكان بعض المسلمين وما يزالون يصرون دائما على أن محمدا قام برحلته إلى عرش الله بجسده، وكان ابن إسحاق يورد حديثا لعائشة تقول فيه إن الإسراء والمعراج كانتا تجربتين روحيتين محضتين (ولكن الله أسري بروحه حقيقة من حقائق الحياة الإنسانية، وهي تتميز بالتشابه الكبير في جميع التقاليد "[٢]

(١) سيرة النبي – محمد - : كارين أرمسترونج ، ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢١١.

وتحاول (أرمسترونج) تفسير الإحساس بالمطلق الذي حدث للنبي – ﷺ – على حد زعمها – خلال رحلة الإسراء والمعراج في ضوء التعاليم البوذية والتجارب النفسانية المتعلقة بذلك، يقول :" ويزعم البوذيون أن مثل ذلك الإحساس بالمطلق، والامتداد الشاسع للوحي، ما هو إلا حالة طبيعية محضة، وليس نتيجة اللقاء مع الآخر، ويبدو أن الوعي الإنساني، عندما يتعرض للضغط فيصل إلى أقصى حد ممكن له، يصور ذلك تصويرا رمزيا ويشبه ذلك، وإن اختلف السياق اختلافًا كاملًا، الضغط الذي يتعرض له البدن عندما يصل الإنسان إلى حافة الموت مثلا فيتصور أو يتوهم أنه يسير في ممر طويل، وأنه يقابل عند الباب شخصا يأمره بالرجوع وهلم جرا، ويتمتع الرجال والنساء في جميع الأديان بموهبة خاصة تمكنهم من مكابدة هذه التجربة، كما أنهم يقومون بتنمية هذه الموهبة من خلال تدريبات معينة وحيل خاصة تتشابه هي الأخرى تشابها كبيرا فيما بينها.."[(١)]

والحق أن محاولة (كارين أرمسترونج) تفسير الإسراء والمعراج في ضوء التعاليم الروحية للأديان الهندية غير سديد للآتي :

١- أنها تفترض أن الإسراء والمعراج حدث بالروح وليس بالبدن؛ واستندت لما زعمته من تدعيم السيدة عائشة – رضي الله عنها – لروحية الرحلة؛ وهذا غير صواب، فالسيدة عائشة نفت أن يكون الرسول – ﷺ– قد رأى ربه رؤية حقيقية عينية فقط، ولم تنف كون الرحلة وقعت جسديًا، روى البخاري قولها – رضي الله عنها– :" قالت: «من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساد ما بين الأفق»[(٢)] فأين ما ادعته (كارين) من إنكار السيدة عائشة – رضي الله عنها– للإسراء والمعراج جسديا ؟.

(١) سيرة النبي محمد : كارين أرمسترونج ، ص ٢١٢.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) أولى، ١٤٢٢هـ ، ج ٤ ص ١١٥ كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم:

٢- الأديان الهندية تجعل بلوغ الصفاء وتحقيق الرؤى الروحية نتيجة للزهادة والتمارين الروحية، وهذا ما لا نجده في الإسراء والمعراج؛ فالإسراء والمعراج ليست نتيجة تمارين روحية؛ بل هي معجزة ربانية لم يقدم رسول الله – ﷺ– بين يديها تمارين روحية حتي يستأهلها.

ومن ثم فمقارنة الإسراء والمعراج بالأديان الهندية مقارنة جائرة؛ لأنها تغفل طبيعة كل منهما؛ وتسوى بينهما على غير وجه للتسوية؛ بينما كل منهما له طبيعته الخاصة من حيث المسلك والغاية.

آمين والملائكة في السماء، آمين [ص:١١٤] فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه حديث رقم ٣٢٣٤.

المبحث الثالث

التشكيك في معجزة الإسراء والمعراج والرد عليه

المطلب الأول

التشكيك في مكان المسجد الأقصى ووجوده والرد عليه

حاول المستشرقون التشكيك في مكان المسجد الأقصى المبارك؛ وزعموا وجود رأي عند المسلمين يقرر أن المسجد الأقصى سماوي، وليس على الأرض، يقول: (كولن تيرنر)[1] مشككا في طبيعة رحلة الإسراء والمعراج ووجهتها:" وسواء كان محمد قد عاش هذه التجربة الليلية جسدا أم روحا فهذا لا يهم، كما لا يهم أن المسجد الذي أسري إليه هو المسجد الأقصي في القدس – كما يدعي معظم المسلمين– أم كان ذلك دلالة عن الدرجة العالية من الاستسلام لله وهو ما وصفه آخرون، إذ كانت هذه الرحلة حقيقية بالفعل لمحمد، فهي كانت بالنسبة له التأكيد والتصديق على صحة رسالته، وجاءت في وقتها ما أمده بالقوة النفسية والروحية اللازمة لمجابهة ما سيأتي من صعاب .."[2]

وتقول (كارين أرمسترونج):" وأصبح وضعه – يعني النبي – ﷺ– في مكة محفوفا بأشد المخاطر، وبعد بضع سنوات، أو أكثر قليلا من الدعوة، لم يحرز أي تقدم حقيقي، في هذه الحالة المعنوية المنخفضة، مر بأعظم تجربة في حياته، كان يزور ابنة عمه أم هانئ التي كانت تسكن قرب الحرم، وقرر قضاء الليلة في

---

(١) كولن تيرنر، ولد في برمنغهام عام ١٩٥٥، حصل على شهادة البكالوريوس في اللغتين العربية والفارسية من جامعة دورهام في إنجلترا، ثم حاز على شهادة الدكتوراه عن أطروحته "الحركات الاجتماعية والسياسية في إيران الصفوية". مارس التدريس في جامعتي دورهام ومانشستر، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٥. تركزت أبحاثه على الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، والتشيع، والتاريخ الصفوي، واللغة، والأدب الفارسي. من مؤلفاته: "القرآن: نظرة جديدة"، و"رسالة النور: ثورة إيمانية" في بديع الزمان سعيد النورسي، و"القاموس الموضوعي للفارسية الحديثة"، وغيرها من المؤلفات الأخرى.
/. https://rawabetcenter.com

(٢) الإسلام الأسس : كولين تيرنر ، ترجمة / نجوان نور الدين ، مراجعة / سعود المولى ، ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت) أولى ٢٠٠٩م ، ص ٤٨ .

الصلاة أمام الكعبة، كما كان يحب أن يفعل، أخيرا غلب عليه النوم لفترة، ثم رأى أن جبريل أيقظه وحمله بشكل أعجوبي إلى القدس، المدينة المقدسة لدى اليهود والمسيحيين، وسجلت آيات القرآن ذلك :" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[١] لم تذكر القدس بالاسم، لكن بينت الأحاديث أن المقصود بالمسجد الأقصى مسجد بالقدس، طبقا لما ذكره المؤرخ الطبري"[٢]

ويزعم كاتب مادة (إسراء) في دائرة المعارف الإسلامية أنه هناك روايات إسلامية تثبت أن المراد بالمسجد الأقصى البيت السماوي، ويزعم أن هذا القول هو أقدم الروايات، يقول:" وهذا القول يفسر عبارة (المسجد الاقصي) بالسماء، وفي الحق إن الرواية القديمة تستعمل في كثير من الأحيان كلمة (إسراء) مرادفة لكلمة (معراج)، والرواية الثانية، وهي الوحيدة في جميع التفاسير المتأخرة، تفسر (المسجد الأقصى) ببيت المقدس، وليس هناك سبب بين لهذا التفسير، ويظهر أنه أوحت به سياسة الأمويين التي رمت إلى تعظيم بيت المقدس على حساب مكة التي كان يحكمها حينذاك عبد الله بن الزبير، ويبدوا أن الطبري قد رفض الأخذ بهذا التفسير، وهو لا يذكره في تاريخه، بل يظهر أنه كان أميل إلى تأييد التفسير الأول"[٣]

والحق الذي لا مرية فيه؛ أن المسجد الأقصى في القدس، وعلى هذا اجتمعت كلمة أهل العلم، ولا عبرة بالخلاف في هذا الأمر، " قوله تعالى: (إلى المسجد الأقصى) سمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة ثم قال: (الذي باركنا حوله) قيل: بالثمار

(١) سورة الإسراء الآية ١ .
(٢) محمد نبي لزماننا : كارين أرمسترونج ، ترجمة / فانت الزلباني ، ط مكتبة الشروق الدولية (القاهرة) أولى ٢٠٠٨م ، ص ٨٦.
(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٧١٣ (مادة إسراء) .

وبمجاري الأنهار. وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين، وبهذا جعله مقدسا."[١] فالمسجد الأقصى هو الذي بناه سليمان – عليه السلام – ،" والمسجد الأقصى هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن بإيلياء، وهو المسجد الذي بناه سليمان– عليه الصلاة والسلام–.والأقصى، أي الأبعد. والمراد بعده عن مكة، بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء وكونه خارقا للعادة لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة. وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علما بالغلبة على مسجد بيت المقدس كما كان المسجد الحرام علما بالغلبة على مسجد مكة. وأحسب أن هذا العلم له من مبتكرات القرآن فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ."[٢]

وكون المسجد الأقصى في القدس من الشهرة بين المسلمين وغيرهم، مما يجعل التدليل على ذلك تطويل لا فائدة منه .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، مرجع سابق، ج ١٠ ص ٢١٢ .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ج ١٥ ص ١٤ .

المطلب الثاني

التشكيك في طبيعة الإسراء والمعراج ونفي حسيته والرد عليه

حاول المستشرقون أن يجردوا (الإسراء والمعراج) من كونها معجزة دالة على صدق النبي – ﷺ–؛ ففسروها تفسيرات مادية، وحاولوا حصر دلالتها في الرؤية المنامية، وتعددت أساليبهم وأقوالهم في ذلك الأمر ومن أقوالهم ما يلي :

١– يقول نولدكه : "سورة الإسراء تتعلق بإسراء محمد – ﷺ – من مكة إلى بيت المقدس، ويعتبره التفسير التقليدي معجزة، مالا يتوافق مع كون النبي – ﷺ– مثلا في (سورة الرعد ١٣ : ٧/ ٨، ٢٧) ؛ وسورة الإسراء (١٧ : ٩٣/ ٩٥)؛ وسورة الفرقان (٢٥: ٦ / ٨) ، وسورة العنكبوت (٢٩ / ٤٥/ ٤٤) ، رفض اجتراح المعجزات صراحة في مواضع كثيرة من القرآن، معلنا أنه نذير وبشير فقط، لهذا ينبغي لنا أن نفترض أن محمداً أراد أن يروي حلماً وحسب، ولا يمكن التوفيق بين هذا الافتراض والنص الحرفي للآية ١، إلا إذا اعتبرنا أن محمداً لم يعتبر الحلم خدعة حسية، بل خبرة فعلية عاشتها مخيلته المثارة، تلامس هنا فكر الشعوب البدائية الساذج، وبحسبه يستطيع الحالم فعلا أن يستقبل أشخاص غرباء يزورونه أو يذهب هو إليهم، ومن الممكن لكن غير القابل للإثبات أن تعني الآية (٦٠ / ٦٢) ذلك الحلم، حتي لو كان جزءا من الموعظة نفسها كما في الآية الأولى ..."[١]

ويمكن تلخيص مزاعم (نولدكة) السابقة فيما يلي :

١– ينفي كون الإسراء والمعراج معجزة؛ ويعتمد على تقرير النبي في غير موضوع في القرآن أنه ما ليصنع المعجزات؛ بل أتى بالهداية والنور والبينات؛ في مثل قوله – تعالى –:" وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(١) تاريخ القرآن : ثيودور نولدكة، ص ١٢٠ – ١٢١ .

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا * "[1].

وفات (نولدكه) أن هذا التقرير كان في معرض الرد على تعنت المشركين وتحديهم للنبي – ﷺ– حتي يحرفوه عن الغاية التي أتي لأجلها؛ وهي هداية الناس، وشغله بالمعجزات الحسية، التي لم تجلب على من طلبها من الأمم الماضية إلا الدمار والهلاك ، وحاولوا تطويع النبي – ﷺ ليجلب لهم خيرات الدنيا، وهو ما أرسله الله بذلك بل بالهدى والنور، جاء في سبب نزول هذه الآيات :" قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الآية نزلت في رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبي سفيان والنضر بن الحارث، وأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف وأبي البختري، والوليد بن المغيرة وغيرهم. وذلك أنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم يرضوا به معجزة، اجتمعوا– فيما ذكر ابن إسحاق وغيره– بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد ﷺ فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدو، وكان رسول الله ﷺ حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا له: يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف

(١) سورة الإسراء ٩٠ : ٩٣ .

فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك- وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا- فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. فقال لهم رسول الله ﷺ:" ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم" أو كما قال ﷺ. قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله تعالى، وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه:" ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم". قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك! سل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمس، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولًا كما تزعم. فقال لهم رسول الله: "ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت بهذا إليكم ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً- أو كما قال- فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم

الله بيني وبينكم" قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. قال فقال رسول الله ﷺ: "ذلك إلى الله عز وجل إن شاء أن يفعله بكم فعل" قالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألنا عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك بما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به. إنه قد بلغنا إنما يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا."[1]

فبيان الغاية من رسالته – ﷺ– لا ينفي إمكانية وقوع كثير من المعجزات الحسية على يديه – ﷺ– كتكثير الطعام وشق القمر وغيرها من المعجزات الحسية[2].

ولعل هذا الزعم من (نولدكه) وغيره من المستشرقين حول انعدام الآيات الحسية للنبي – ﷺ– ناشئ من اكتفائهم بالقرآن عن السنة، وعدم اعتدادهم بالمعجزة إلا إذا اقترنت بالتحدي، يقول صاحب كتاب (الاعتذار محمد والقرآن) – وهو من المنصفين – : "لابد لنا أن نشير إلى ما نسب إليه من الآيات وخوارق العادات على أنه – ﷺ– لا يعتمد على مثلها بل ينكر كل شيء لا يميز دعوته عن البلاغة، ولا يتخذ لها من المعجزات غير الصدق والإيمان، وقد امتاز عما نسب إليه بالبساطة وبيان الحقيقة، وإننا لنأسف كثيراً على زوال تلك الحقيقة التاريخية التي تجرد حياته من التكاليف والأوهام وتجعلها مثل حياة القديسين والمسيحيين المحفوفة بأباطيل التاريخ وأكاذيبه من المعجزات؛ فحياة محمد أكبر وأوضح مما يصفون، وهو أعظم ممن يحتاج إلى تلك الأقوال والقصص والأباطيل، وفي الحقيقة الفرق بين حياته

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٠ ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .
(٢) يراجع مثلا كتاب / كتاب دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق/ محمد محمد الحداد، ط دار طيبة – الرياض أولى، ١٤٠٩هـ.

الحقيقية كما ذكرها القرآن المجيد وبين تلك الخرافات التي اعتمد عليها الكتاب هو الفرق نفسه بين ما جاء في الإنجيل وما صاغته الأباطيل ..."[١] وقد فطن إلى ذلك الشيخ أبو شهبة – رحمه الله – يقول : "الذي أؤمن به أن القرآن هو المعجزة العظمى للنبي – ﷺ–، والآية العقلية الباقية على وجه الدهر، وأنه آية الآيات، ومعجزة المعجزات، ولكني أؤمن أيضا أن النبي – ﷺ– أوتي من المعجزات الحسية مثل ما أوتي الأنبياء السابقون، بل وأعظم، وهذه المعجزات الحسية بعضها ثابت بالقرآن الكريم نصاً: كالإسراء، وانشقاق القمر، أو بالإشارة إليه كالمعراج، وبعضها ثابت بالأحاديث المتواترة، والكثير منها ثابت بالأحاديث الصحيحة المروية في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن والمسانيد. ولا يطعن في كونها معجزات أن النبي – ﷺ– لم يتحدّ الناس بها كما تحدّاهم بالقرآن الكريم؛ لأن فريقًا من العلماء لا يشترط في المعجزة أن تكون مقترنة بالتحدي، ثم إن بعضها وإن لم يقع التحدّي به صراحة، لكنه في قوة المتحدّى به، ففي الصحيحين وغيرهما عن عدة من الصحابة أن المشركين من أهل مكة «سألوا رسول الله – ﷺ– أن يريهم آية، فأراهم القمر شقّين حتى رأوا حراء بينهما». ولا أدري ما الداعي إلى إنكار المعجزات الحسية؟! والشيء إذا تواردت عليه الأدلة والبراهين ازداد قوة وثبوتًا، وفي كتب الأحاديث من الصحاح والسنن والمسانيد الكثير من المعجزات الحسية، والإمامان البخاري ومسلم وهما من هما، دقة وتحرياً عن الرجال، وتشدّداً في الحكم بالتصحيح – قد خرّجا في صحيحيهما قطعة كبيرة منها، وعقد الإمام البخاري لذلك باباً كبيراً، ومن أراد زيادة في بحث «المعجزات الحسية» فليرجع إلى الفصل الذي كتبته في الرسالة التي ألفتها في «الإسراء والمعراج» والأقدمون من المؤلفين في السير والتاريخ ذكروا الكثير من المعجزات الحسية، وإن اختلفوا في ذكرها قلّة وكثرة، وابن إسحاق – شيخ كتاب السّير وعمدتهم – ذكر منها جملة مع قرب

(١) الاعتذار محمد والقرآن: جان ديون بورت ، ترجمة عباس الخليلي ، بدون بيانات ، ص ٢٦ – ٢٧ .

عصره من عصر النبوة، وقد لقي الكثيرين ممن أخذوا العلم والحديث عن الصحابة العدول، وروى عنهم. وقد ابتدع هذه البدعة السيئة – وهي الاكتفاء بالقرآن – المستشرقون، ثم سرت عدوى هذه البدعة إلى كتابنا المعاصرين كالدكتور محمد حسين هيكل – رحمه الله – في كتابه «حياة محمد»، وكذلك صنع المستشرق الفرنسي الذي أسلم (اتيين دينيه) وزميله السيد سليمان إبراهيم الجزائري، في كتابيهما «حياة محمد»، وقلما تجد أحداً من المؤلفين المتأخرين في «السيرة النبوية» يذكر شيئا من المعجزات الحسية."[١]

٢- وقد اعتقد (نولدكه) بناء على ما زعمه من نفي النبي الإتيان بالمعجزات، أن الإخبار عن الإسراء هو إخبار عن (حلم) رآه النبي – ﷺ– ولكن بسبب وقوع النبي تحت تأثير بعض المؤثرات البيئية اعتقد أنه رآه بالفعل وعاشه، ولذلك قصه على أنه واقعة حقيقية – على حد زعمه – .

ولكن (نولدكه) أغفل رد فعل المشركين على إخبار النبي – ﷺ – لهم بالإسراء والمعراج؛ وهم قد شاهدوه وخبروا على وجه اليقين حاله، فلو لمح المشركون بعضاً من مرض أو مس أو خيال شاعر أو قوة مخيلة قاص، ما سارعوا لتكذيبه والتشهير به، فقد كان فيهم الشعراء والقصاص وما أنكروا عليهم، وهذا يثبت عند أصحاب الأفهام المستقيمة أن النبي – ﷺ– ما قصد رؤيا منامية ولا رؤى ذهنية، جاء في كتاب الفصول في السيرة النبوية :" ولما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستجراؤهم عليه"[٢]

وعلى هذا اجتمعت كلمة الرواة وأهل التاريخ والإسلام، "جمهور العلماء– سلفاً وخلفاً – على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، ط دار القلم – دمشق ثامنة ـ ١٤٢٧ هـ، ج ١ ص ٢٢ .

(٢) الفصول في السيرة : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو ، ط مؤسسة علوم القرآن ثالثة، ١٤٠٣ هـ، ص ١٠٧ .

بجسده وروحه ﷺ، وهذا هو الذي يدل عليه قوله تعالى في مفتتح سورة الإسراء "بعبده"، إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد. وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها، وأنّى هو؟ وفي الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف، وركب البراق، وعرج به إلى السماء، ولاقى الأنبياء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وأن الله كلمه، وأنه صار يرجع بين موسى- عليه السلام- وبين ربه عز وجل، مما يؤكد أنهما كانا بجسده الشريف وروحه، وينفي ما عدا ذلك."(١)

بينما يحاول المستشرقون نفي كل المعجزات الحسية، ومنها معجزة الإسراء والمعراج، إذ يشير المستشرق (بودلي) إلى أن رحلة الإسراء والمعراج ما هي إلا خرافة وأسطورة، وأن فيها ما هو ملهم وما يدعو إلى الاحتقار، وإنما جيء بها للدليل على المعجزات الحسية، مع أن محمداً - ﷺ- لم يزعم أنه جاء بمعجزات حسية، يقول (بودلي): "وحدث هنا ما أصبح موضع مساجلة كالصرع وأمية محمد - ﷺ- على حد زعمه -، وعلى الرغم من أن الأمر يدعو إلى التسلية، إلا أنه لا أثر له في الإسلام، فقد كانت هذه الليلة (ليلة الإسراء والمعراج)، وقصة الإسراء تظهر في معظم الكتب التي كتبت عن محمد في أشكال متباينة، وإن بعض ما جاء بها ملهم، وبعضه ملئ بالاحتقار، وبعضه ركيك عديم الحجة.....، وما الحكاية في الغالب – يقصد الإسراء والمعراج – إلا خرافة – على حد زعمه – من الخرافات التي تذكر، للتدليل على معجزات محمد – ﷺ-، وما قال محمد يوما أنه أتى بمعجزات "(٢)

وعلى نفس نهج (بودلي) يسير (كولين تيرنر) مع تأكيده لنفي وقوع الإسراء بالجسد، ومبالغته في ذلك الأمر، ثم محاولة تشكيكه في القصة بأكملها، إذ يلمح إلى

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة : لأبي شهبة ، مرجع سابق ج ١ ص ٤١٠ .
(٢) حياة محمد : بودلي ، ص ١٠٤ .

الحذر من تعاطي تلك الأحداث في كتب السيرة، كالعادة فيقول: "عاش محمد – ﷺ– بعد ذلك ما قد يعد أصعب الفترات في حياته، وفي ذلك الوقت مر بأكثر التجارب الروحية وطأة على نفسه، حيث قيل إنه ترك جسده صعد إلى العلا حيث مر بتجارب نفسية روحية عدة، وتصف آيات القرآن الكريم هذه التجربة برحلة الإسراء والمعراج، مع تأكيد أنها تمت أثناء نومه، وجاءت الرواية القرآنية المختصرة كالتالي :"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[(١)] وللاطلاع على مزيد من الحقائق في ما يتعلق برحلة الإسراء والمعراج، علينا الرجوع إلى السيرة النبوية والحديث مع اتباع الحذر المعهود، حيث تروي السيرة أن محمداً عاش تجربة روحية بعد فيها عن جسده، وقيل إنه قد التقى في هذه الرحلة السماوية بجميع الرسل والأنبياء الذين سبقوه، بدءا من آدم، مارًا بنوح وموسي وداود وعيسي ونفسه، وكان لهذه الرحلة الأثر الكبير في تأكيد ثقته بنبويته، وتأصيل لاستمرارية رسالة الإسلام..."[(٢)]

ويقول صاحب كتاب (مغامرة الإسلام) معبراً عن الطبيعة الروحية المنامية للإسراء والمعراج – في زعمه – : "كما يبدو أنه – يعني النبي ﷺ – حظي برؤيا في المنام زار خلالها السماوات، وربما بيت المقدس، مدينة الأنبياء، لاحقًا فصل المسلمون في هذه الرؤيا، المعراج، وجعلوا لها موقعًا مركزيا في أسطورة محمد، ويبدو أن إصرار محمد على مثل هذه الأمور قد تسبب في صدام مع بعض أصحابه، وساهم في ارتداد بعضهم عن الإسلام خلال تلك السنوات.."[(٣)].

(١) سورة الإسراء ١.
(٢) الإسلام الأسس : كولن تيرنر ، ص ٤٧ .
(٣) مغامرة الإسلام - الضمير والتاريخ في حضارة عالمية : مارشال هودجستون ، ترجمة / أسامة غاوجي ، ط الشبكة العربية للأبحاث (بيروت) أولى ٢٠٢١م ، ج ١ ص ٣١٩ .

إن (مارشال هودجستون) يؤكد كذلك ما ذهب إليه (كولين تيرنر) من أن رحلة الإسراء والمعراج كانت بالروح لا بالجسد، ثم يعبر في صراحة في أن رحلة المعراج قد عمل المسلمون لاحقًا على إعادة صياغتها، بينما – على حد زعمه – أدى إخبار النبي محمد – ﷺ– بهذا الخبر إلى شك وارتداد أصحابه.

٣– ويقول صاحب كتاب (الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة): "وقد اختلف في مسألة وقوع الإسراء والمعراج بالجسد والروح وحدها، فروي أن محمداً مر في أثناء عودته من بيت المقدس إلى مكة ببعير وأنه أخبر بقرب وصولها، وأنه كان في غرفته، عندما أفاق جرة ماء كانت قريبة من فراشه فكفأها الملك بجناحه عند الرحيل، وأن بطرك القدس رأي في اليوم التالي آثاراً في مسالك الأنبياء بالمعبد، وأكثر العلماء على أن الإسراء وقع بين مكة وبيت المقدس وقع ذهاباً وإياباً على البراق بالجسد والروح، وأن المعراج وقع بالروح فقط، ويبدو لنا ما دار حول ذلك من الجدل الذي ملأ المجلدات لا يعدو حد اللغو ما دمنا لا نرى للمعراج ما يمتاز به من رؤي النبي والأولياء التي صحت روايتها والتي لم تصح، والمهم في أمر المعراج هو اتخاذه أساساً لتأملات كثير من متصوفي الإسلام الروحي، فلما كان الصباح قص ذلك على عمه العباس وعلى أم هانئ، فنصحاه بألا يحدث به أحداً لما قد يؤدي إليه حديثه من فتنة أصحابه وسخرية أعدائه، ولكن النبي – ﷺ– رأي ألا يكتم شيئًا مما أوحي إليه فذهب إلى ساحة الكعبة ليجلس فيها، فمر أبو جهل من هناك وسأله عما لديه من خبر، فأخبره محمد بإسرائه إلى بيت المقدس، فقال أبو جهل مستهزئًا أرأيت إن دعوت قومك أتخبرهم بما أخبرتني به ....."[(١)].

إنَّ (إميل درمنغم) يبالغ في تشكيكه في معجزة الإسراء والمعراج، حتى يزعم أنها لا تعدو حد اللغو، وينطلق من قول بعض العلماء بأن المعراج كان بالروح فقط

(١) الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة : إميل درمنغم، ترجمة / عادل زعيتر ، ط دار الشعاع (القاهرة) ثالثة ٢٠٠٥م ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

لا بالجسد إلى أنه ليس في المعراج ما يمتاز به من رؤي النبي والأولياء التي صحت روايتها والتي لم تصح... وقد ثبت بيان أن معجزتا الإسراء والمعراج كانتا بالجسد والروح.

٤- ويقول صاحب كتاب (خلاصة تاريخ العرب): "أسري بجسده أو روحه - ﷺ- قبل موت عمه أبي طالب أو بعده في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وأشهر معجزاته القرآن الكريم، لاشتهار البلاغة والفصاحة في زمانه عند قريش الذين كانوا يفتخرون بحسن الكلام ويتغالبون فيه ...."[١]

٥- ويقول (صاحب الاعتذار محمد والقرآن) مقرراً أحداث لم تقع، وتصوراً أقرب إلى الخرافة: "كان محمد عند زوجته عائشة فسمع الباب يطرق فقام إلى خارج الدار فرأى جبريل ومعه (البراق) وهو حيوان قد وصف بهذه الصفة، وكان رمزاً أو خيالياً، له وجه كوجه الإنسان وأذنان كأذني الفيل، وجيد كرقبة البعير، وجسم كجسم الفرس، وذنب كذنب البغل، وحافر كحافر الثور، وهو أبيض كاللبن يفوق بسرعة جيره، وفي تلك الحالة نشر له جبريل جناحه السابع وحمله مع البراق على ذلك، وأدخله المسجد الأقصى، وهناك لقي إبراهيم وموسي وعيسي وسلم عليهم، وصلى معهم وخاطبهم بالإخاء (أي أن جبريل عمل ذلك كله)، ثم خرج ومعه النبي فوجد سلماً من النور أو البرق فصعدا عليه وقد شد جبريل البراق وربطه بصخرة حتي يعود؛ فصعد من سماء إلى آخر سبع سماوات ...، فكان جبريل يقدم الملائكة ويعرفهم فبعضهم كالناس لهم صور كالبشر وبعض كالطيور لهم أجنحة، وقد رأي ديكا كبيراً أو أكبر مما يوصف أبيض ناشراً جناحيه، وعنده كثير من الحيوانات يشفع بعضهم لبعض، ثم صعدا حتي وردا حديقة أو محلاً فيه شجرة (طوبى)، وهناك الحد بين الجنة وذاتها وما سواها، ولتلك الشجرة ثمر كبير

(١) خلاصة تاريخ العرب : لويس سيديو، ترجمة / محمد أحمد عبد الرازق ، مراجعة / علي مبارك ، ط دار هنداوي (القاهرة) أولي ٢٠١٨م ، ص ٥٠ .

يكفى جميع البشر قوتا ولذة، ثم صعدا حتي وجدا سداً مانعاً يحول بين من يفنى عمن بقي أبدا حياً وسرمداً، وهذا السد هو الفاصل بين السماء والعرش أو الكرسي، وكان عنده شجرة (طوبى) ملك ينتظر قدومه، وهو الذي عين مكان (محمد) بين صفوف الملائكة الكرام الذين يسجدون ويهللون ويحمدون الله...، فللمعراج أو السفر الليلي قصص وحكايات كثيرة صاغها الخيال أو التصور الديني، ومنحها جلالاً وعظمة في ألوان مختلفة، وقد اختلف المسلمون في المعراج هل كان عروجه – ﷺ– جسمياً أو روحياً أو خيالياً وهمياً لا يتجاوز التصور، أو هو رؤيا بسيطة، وقد زعم البعض أنه ذهب بجسمه إلى العالم الأعلى، والاعتقاد الأخير هو الشائع والظاهر أن النبي لم ينكر ذلك أو ينهى عنه "[١].

إن صاحب كتاب (الاعتذار محمد والقرآن)، يشكك في رحلة الإسراء والمعراج بداية من وصف (البراق) إذ يقول: كان رمزاً أو خيالياً، له وجه كوجه الإنسان وأذنان كأذني الفيل...، حتى يقول في نهاية حديثه: فللمعراج أو السفر الليلي قصص وحكايات كثيرة صاغها الخيال أو التصور الديني.

٦– وتقرر (كارين أرمسترونج) أن حديث القرآن عن الإسراء والمعراج لا يعدو كونه زعما !!، تقول : "وزعم القرآن أن محمدا شاهد رؤية بجانب سدرة المنتهى، التي تمثل حد المعرفة الإنسانية : ثُمَّ دنَا فَتَدَلَّىٰ* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِه مَا أَوْحَىٰ *مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ *وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ *عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ* عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ** إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ *مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ *لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ **"[٢]، وكلام القرآن متحفظ حول هذه الرؤية، طبقًا للقرآن، رأي فقط آيات ورموز الذات الإلهية – وليس الله – ، وأكد المتصوفون لاحقًا التباين في تلك الرؤية المتسامية،

(١) الاعتذار محمد والقرآن : رودي بورت ، ص ٣٦ – ٣٧ باختصار .
(٢) سورة النجم ٨ : ١٨ .

في أن محمداً – ﷺ– قد رأي، ولم ير الذات الإلهية، يترك أكثر الكتاب الرؤية النهائية لله في الغموض الموقر، لأنه كان وراء الوصف، وكان على محمد – ﷺ– أن يترك المفاهيم الإنسانية العادية، عند سدرة المنتهي، حد المعرفة الدنيوية، حتي جبريل لم يعد بوسعه أن يرافقه في المرحلة العليا من رحلته، كان عليه أن يتخلى عن كل شخص، حتي نفسه، لكي يفنى نفسه في الله، هكذا أصر الصوفيون اللاحقون، فرحلة الإسراء وقصة المعراج حدثت مرة، ولكنها يمكن أن تتكرر طوال الوقت، وهي تمثل الإسلام الخاص، تسليم الذات لله، وتمثل أيضا العودة إلى منبع الوجود، أصبحت القصة نموذج الروحانية الإسلامية، تبين الطريق الذي يجب أن يسلكه كل البشر، بعيدا عن أهوائهم، وإجحافهم، وقيود أنانيتهم، لم تسفر الرؤية عن وحي قرآني، فقد كانت تجربة شخصية للنبي – ﷺ– نفسه، لكن وضعها المؤرخون الأوائل في تلك اللحظة من حياة محمد – ﷺ –، فكانت بمثابة تعليق رائع على السياق الداخلي لذلك الحدث الخارجي "[1]

٧– يزعم كاتب مادة (إسراء) في دائرة المعارف الإسلامية أنه تم وضع قصة للإسراء والمعراج يمتزج بين كونها وقعت بالبدن والروح، فيقول : "ووضعت القصة على نحو يوفق بين التفسيرين الثاني والثالث – يقصد الإسراء بالجسد أو بالروح فقط في رؤية منامية – وذلك كما يأتي : سافر محمد – ﷺ – ليلا إلى بيت المقدس، ثم عاد ووصف في مكة ما رآه فلم تصدقه قريش، بل وأنكر ذلك منه بعض المسلمين، وحاول محمد التدليل على صدق روايته، ولكنه نسي التفصيلات، فأراه الله بالفعل بيت المقدس ..، وقد تبسطوا في سرد هذه القصة في المؤلفات المتأخرة المطولة .."[2]

(١) محمد – ﷺ– نبي لزماننا: كارين أرمسترونج ، ص ٨٦ – ٨٧ .
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ص٧١٥ (مادة إسراء) .

والحقيقة أن هذا الذي قرره المستشرقون من كون الإسراء والمعراج رؤية منامية يخالف ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، ودلت عليه الروايات والأحاديث المتواترة، وليس لهم دليل إلا التقول والترجيح بلا مرجح، وقد تقدم نصوص أئمة الأمة وأعلامها في حكاية إجماع الأمة أن الإسراء كان بالروح والجسد، وأنه لم يكن مناماً ولا تجربة روحية كما يدعي المستشرقون وأذنابهم .

الخاتمة

الإسراء والمعراج معجزة إلهية أيد الله – تعالى – بها نبيه محمدا – ﷺ –، وجعلها من العلامات الدالة على عظيم قدره عند الله – تعالى – حيث تسلم النبي – ﷺ– قيادة الدنيا إلى يرث الله الأرض من عليها بهدي الله ودينه الخاتم، وأما دعاوى المستشرقين حول طبيعة الإسراء والمعراج أو التشكيك في مصدرها أو وجهتها أو اقتراح مصدر يهودي أو نصراني أو شاماني أو هندي لأحداثها فضرب من العبث الفكري؛ إذ هدي الله لا يعلوه هدي، والمعجزة العظمى لا يمكن تكذيبها، ولا تملك الأمة أمام هذا الجلال والكمال إلا أن تخر لله ساجدة أن من عليها أن تكون من أمة أحمد – ﷺ– فقد جاء بالهدى والنور.

النتائج

١– الإسراء والمعراج مصدره قرآني نبوي لا ريب في ذلك .

٢– لا صحة لتشكيك المستشرقين في مصدرية الإسراء والمعراج .

٣– آية الإسراء لها ارتباط وثيق بالسياق العام لسورة الإسراء؛ مما يدحض زعم المستشرقين أنها أجنبية عن سياق السورة .

٤– التشابه الظاهري الموجود بين رحلة الإسراء والمعراج وما سبق الإسلام من أديان مرده إلى وحدة المصدر الإلهي، وبقاء قبس من الدين الصحيح في هذه الأديان ، وليس مرده لتأثر الإسلام بما سبقه من أديان .

٥– الأمثلة التي ضربها المستشرقون للمشابهة بين الإسراء والمعراج واليهودية والمسيحية والأديان القديمة والشامانية، ليس فيها وجه تطابق أو تشابه مع رحلة الإسراء والمعراج في الإسلام .

٦– الإسراء والمعراج حدث بالروح والجسد، ولا عبرة بما قاله المستشرقون ؛ فهو معارض بصحة النصوص وإجماع الأمة على وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد .

التوصيات

١- الاهتمام بالدراسات الاستشراقية المتخصصة؛ ترجمتها والرد عليها .

٢- تشجيع الباحثين على ارتياد آفاق أرحب في الرد على المستشرقين عبر الدراسات المتخصصة للأديان القديمة والمعاصرة .

٣- عدم الاكتفاء بالدراسات البانورامية عن شبهات المستشرقين حول الإسلام، بل الواجب تفكيك الخطاب الاستشراقي بكل جوانبه حول الإسلام قضية قضية، واستيعاب الرد عليها .

المراجع

١. أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية : ميجل آسين بلاسيوس، ترجمة / جلال مظهر، ط مكتبة الخانجي (القاهرة) ١٩٨٠م

٢. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد : عمر إبراهيم رضوان ، ط دار طيبة (الرياض)

٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق ، ط دار المعارف (القاهرة) ١٩٩٧

٤. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: شوقي أبو خليل ، ط دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) الإعادة الأولي ١٩٩٨م

٥. الإسلام الأسس : كولين تيرنر ، ترجمة / نجوان نور الدين ، مراجعة / سعود المولى ، ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت) أولى ٢٠٠٩م

٦. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ.

٧. الاعتذار محمد والقرآن: جان ديون بورت، ترجمة عباس الخليلي ، بدون بيانات

٨. تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان ، ترجمة / نبيه أمين فارس – منير البعلبكي ، ط دار العلم للملايين (بيروت) خامسة ١٩٦٨م

٩. تاريخ القرآن: ثيودور نولدكة ، ترجمة : جورج تامر وفريقه ، ط دار مؤسسة كونراد – أدنلور (بيروت) أولى ٢٠٠٦م

١٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ط الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ

١١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، طـــ١، سنة: ١٤٣١هـــ.
١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) أولى، ١٤٢٢هـــ
١٣. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط دار الكتب المصرية – القاهرة ثانية، ١٣٨٤هـــ - ١٩٦٤ م
١٤. حياة إيليا وسر قوته : ف . ب.ماير ، ترجمة/ القمص مرقس داود ، ط مكتبة المحبة (القاهرة) ثالثة ١٩٦٦م
١٥. حياة محمد: ر. ف بودلي ، ترجمة/ محمد محمد فرج – عبد الحميد جودة السحار ، ط مكتبة مصر (القاهرة)
١٦. خلاصة تاريخ العرب : لويس سيديو، ترجمة / محمد أحمد عبد الرازق ، مراجعة / علي مبارك ، ط دار هنداوي (القاهرة) أولي ٢٠١٨م
١٧. الدرر في اختصار المغازي والسير : الحافظ يوسف بن البر النمري، تحقيق/ الدكتور شوقي ضيف ، ط دار المعارف – القاهرة ثانية، ١٤٠٣ هـــ
١٨. دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها : عمر علي حسان عرفات ، ط مؤسسة الرسالة ناشرون(بيروت) أولي ٢٠١٨م
١٩. زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي ، ط دار الكتاب العربي – بيروت أولى - ١٤٢٢ هـــ

٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٢١. سير أعلام النبلاء:شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

٢٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة : محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، ط دار القلم – دمشق ثامنة – ١٤٢٧ هـ

٢٣. السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد ، ط دار الجيل ١٤١١ه

٢٤. الشامانية فلسفة للحياة : ميشال بيران ، ترجمة,/ إدريس كثير ، ط هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ((أبو ظبي) أولى ٢٠١٣

٢٥. الشامانية والتقنيات العتيقة للوجد – ميرسيا الياد، طبعة ١٩٥١م

٢٦. الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة : إميل درمنغم، ترجمة / عادل زعيتر ، ط دار الشعاع (القاهرة) ثالثة ٢٠٠٥م

٢٧. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٢٨. شرف المصطفى : عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد، ط دار البشائر الإسلامية – مكة أولى – ١٤٢٤ هـ

٢٩. الفصول في السيرة : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو ، ط مؤسسة علوم القرآن ثالثة، ١٤٠٣ هـ

٣٠. قصص مقتطفة من تاريخ الكنيسة : ترجمة / ابكاريوس يوحنا ، جمعية الكراريس البريطانية (بيروت) ط ٢ ١٨٨٢م
٣١. كتاب دلائل النبوة : إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق/ محمد محمد الحداد ، ط دار طيبة – الرياض أولى ، ١٤٠٩ه .
٣٢. اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان أولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م
٣٣. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، طـ٣، سنة: ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.
٣٤. محمد نبي لزماننا : كارين أرمسترونج ، ترجمة / فانت الزلباني ، ط مكتبة الشروق الدولية (القاهرة) أولى ٢٠٠٨م
٣٥. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، طـ٥، سنة: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٣٦. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، طـ١، سنة: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
٣٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي ، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت أولى ، ١٤٢٠ هـ،
٣٨. معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر – بمساعدة فريق عمل، ط دار عالم الكتب(بيروت)، أولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، طـ١، سنة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٤٠. المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، طـ٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٤١. مغامرة الإسلام - الضمير والتاريخ في حضارة عالمية : مارشال هودجستون ، ترجمة / أسامة غاوجي ، ط الشبكة العربية للأبحاث (بيروت) أولى ٢٠٢١م
٤٢. موجز دائرة المعارف الإسلامية: ط مركز الشارقة للإبداع الفكري (الإمارات العربية) أولى ١٩٩٨م
٤٣. موسوعة المستشرقين : عبد الرحمن بدوي ، ط دار العلم للملايين (بيروت) أولى ١٩٨٤م
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٤٥. ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ دار الوسيلة، ط٤.
٤٦. https://ar.wikipedia.org
٤٧. https://rawabetcenter.com
٤٨. https://st-takla.org